الكماهو

ومسرحيات أخرى

سعيد حجاج

إهداء

إلى

السيدة الرائعة:

رشيدة تيمور.

تقديرا ووفاء

سعيد

فهرس

الكماهو

(حجرة معيشة أثاثها مرتب ورتيـب، الزوجـة تحيك الكثير من الجوارب الممزقة، الزوج يجلس فـي الأركان بين كومة من الجرائد اليومية.. مدخل علـى اليمين يؤدي إلى المطبخ.. ونافذة في صدر المسـرح مغطاة بستارة غامقة اللون، لا يوجد باب للخروج.)

الزوج: **(يسقط من يده الجريدة في ضجر)**

طالع اليوم نحس

اسمعي برج الميزان

أنت تعرفين بالطبع أنني من مواليد

هذا البرج.. برج الميزان

برج معتدل ورزين

برج العدل

يقولون هذا ولابد أن أصدق

بالطبع أعرف نفسي أكثر مما يستطيع

الآخرون حسم هذا الأمر

ماذا يقول البرج؟

اسمعي

أحد الأحباء سيموت اليوم وحيدا

من تظنينه؟

الزوجة: (تهز كتفيها علامة عدم الدراية)

الزوج: هل هناك أحد من أحبائنا

مريض أو قعيد الفراش؟

من تظنينه؟

(يتحرك في المكان وهو يعبث في شعره)

من تظنينه الذي سيفعلها اليوم؟

ربما يكون أحد أحبائنا مريضا

أو طريح الفراش

ربما.. لكن من؟

تذكري.. ألا تستطيعين التذكر؟

أكان واحدا قابلناه على الشاطئ يوما

وأسدى لنا معروفا.. ونسينا وجهه؟

أكان هو الرجل المغطى بالذباب

حتى أخمص قدميه ولم نعره اهتماما؟

الزوجة: (تنظر له طويلا في صمت وتهز رأسها نافية)

الزوج: أبي قد مات منذ زمن سحيق.

الزوج: ولم يكن حبيبا.

كما أن أمي كانت معه

معه أيضا.. هو إذن ليس وحيدا.

ولم يمت أبدا هذه الميتة العبثية.

جميعهم ماتوا دون أن يتركوا أي ميراث.

يستطيع الإنسان اعتباره حبيبا.

لا أخ ولا أخت ولا ميراث عيني.

من إذن؟

هه.. من؟

إذن من يكون؟

من أحبائك أنت؟

لا.. لا بالطبع.

الأمر لا يخصك بتاتًا.

لأنه ليس برجك أنت.

أنت لست من مواليد هذا البرج.

لست من مواليد برج الميزان.

(فجأة في غضب)

لأنك لا تعرفين العدل على أي نحو.

(يصرخ فيها) من أي برج أنت؟

الزوجة: (تبتسم ابتسامة باهتة ثم تشيح بوجهها)

الزوج: (في حنق) من أي برج؟

من مواليد أي برج للقمامة أنت؟

هه؟.. سامعة؟

ماذا تفعلين؟

أنا لا أخرج أبدا لكي تعيدي

حياكة جواربي كل يوم.

لماذا تعيدين حياكة الجوارب

ما دمنا لا نطلع عليها أحدا؟

ما دمنا لا نستطيع الخروج؟

سامعة؟

الزوجة: (تهز رأسها بالإيجاب)

الزوج: لم يعد هناك أحد يهمني كثيرا

لكي يقول هذا البرج هذا الكلام

من يكتب هذا الكلام؟

من يستطيع التخمين جيدا بأن أحدا

سيموت اليوم ومن أحبائي؟

من يعرف أحبائي أكثر مما أعرفهم أنا؟

ليس لنا أحباء لأن ليس لنا حياة.

(صمت)

الزوج: لا بد من معاملة هذا الركن من الجريدة

على أنه كلام جرائد

كلام جرائد لا يخلو من السخف

لا يخلو من الإسفاف والسخف والابتذال المحض

لماذا يجب عليهم أن يزرعوا في قلوبنا التوجس؟
والتوجس على هذا النحو
يزرع في قلوبنا البغضاء.
أشعر بالقرف تجاه من يكتب
هذا الباب من الجريدة
لماذا يكتبونه؟ ما فائدته؟
إننا لا نخرج.. ولا نستطيع الخروج
لأن أفعالنا قد فقدت محتواها الحقيقي
لأن ليس لدينا ما نفعله
لو أننا خرجنا حتى آخر العالم.
حتى لو خرجنا ولو حدث هذا
إلى أين نذهب هه؟.. إلى أين؟
إلى أين يستطيع المرء أن يذهب
ما دامت جميع ارتباطات العالم
قد فضت علاقتها به.
أنت أيضا لا تخرجين.

لماذا لا تخرجين؟

نعم.. لأنه لم يعد لدينا أحباء

نحاول الخروج من أجلهم

لقد شاخت قلوبنا إلى حد كبير.

وافترس الهذيان أعضاءنا تماما

فلا نستطيع سوى أن نُدلي

السلة خارج النافذة

وننادي بائع الفاكهة والخضراوات

كل بائعي الفاكهة والخضراوات

هم يحضرون لنا ما نطلب وما يرضي نهمنا.

لأننا نعطيهم ما يطلبون وما يرضي نهمهم

ومع هذا ليسوا أحباء

ألأنهم يضعون فقط ما نحتاج إليه من أشياء

في السلة المدلاة من النافذة

يجب أن نعاملهم معاملة الأحباء؟

أو يعاملونا معاملة المحبين؟

ونتوجس من أجلهم؟

ونحمل هم من يموت ومن يعيش منهم؟

هراء.. طبعا هراء.

افرغي من الحياكة إذن.

ودعينا نبحث في الذاكرة عن أحباء

نكون قد نسيناهم.

أو ذهبوا بعيدا ثم ماتوا في الغربة

الغربة؟ أية غربة؟

اسمعي.. هل يعتبر البلد المجاور غربة.

لمجرد أن هناك بعض الأسلاك الشائكة والحرس؟

حرس الحدود على مرمى البصر.

هل بوسعهم أن يشعرونا أن الآخرين

في غربة؟

هل بوسعهم أن يشعروا الآخرين

أننا في غربة؟

الغربة هنا.. مزروعة في عروقنا كصبار الصحارى

جذورها قد امتدت في صخر أجسادنا ونتوئها.

هل يمكن تصور ذلك؟

هل تتصورين ذلك على أي نحو؟

ما الذي يحدث الآن إذن؟

ما الذي يجعل هذا الشعور بالمرارة يطغي على كل شيء

وكل قلب؟

هل يمكن تصور ذلك؟

من يكون إذن ذلك الحبيب الذي

يمكث هناك وراء الأسلاك الشائكة وخلف حرس الحدود؟

من ذلك الحبيب القابع هناك.

والذي باستطاعتنا أن..

(يمزق فجأة الجريدة.. إنها جريدة أخرى ملقاة)

اسمعي..

الزوجة: (تنظر له برهة)

الزوج: يجب أن تنهيني عن قراءة هذا الباب

هذا الباب من الجريدة الصباحية

هذه الجريدة الممزقة بالذات.

الجريدة النحس.

قولي لي لا تقرأ اليوم باب الحظ

ودعينا نطلق عليه سويا اسما يليق

(ينتظر إجابة)

باب الحظ السيئ

أو دعينا من الأفضل أن نمحوه من الذاكرة تماما

من الذاكرة ومن الجريدة أيضا

نمحوه من عقلنا الباطن

من اللاشعور

نعتبره كأن لم يكن أبدا

(صمت)

باب الحظ السيئ الذي يأتي.

بأخبار سيئة لا معنى لها.

سوى أنها كلمات شخص خَرِفٍ

لا يتقن فعلا ولا يستطيع

لكنها تبعث على التوجس والقلق

وتحمل إرهاصات مصيبة جديدة

تافهة أو عظيمة لا فرق

سامعة؟

انهيني حال اتجاهي لهذا الباب من الجريدة

هه؟ لكن كيف تستطيعين ذلك؟

والجوارب الممزقة لا تفرغ من البيت أبدا

أنا أعرف جيدا ما تفعلينه حتى تستمتعي

بهذه اللعبة السخيفة الماجنة

أنت تمزقين كل الجوارب كل يوم

كي تعيدي حياكتها مرة أخرى كل يوم

تعيدين حياكتها دائما دون أن...

يطرأ أي تغير على هذه الآلية المخيفة

لكن لفرط الدهشة لا تملين أبدا

أنت لا تستطيعين حتى الملل أبدا

الزوجة: (تخض رأسها في حزن مصطنع)

الزوج: (يلتقط نفس الجريدة على أنها جريدة أخرى يقلبها

وينظر فيها طويلا، تمر فترة صمت قلقة)

اسمعي.. أنا الآن قاب صفحتين أو أدنى

من باب الحظ.. نبهيني.

يجب أن تنبهيني إذا ما كان قلبك يحوي

أي نوع من الشفقة نحوي ألا اقترب

من الباب وقبل أن يتجه نظري إلى هناك

تعالي.. اخلعي نظارتي كي يتسنى لي ألا أراه

ألا أرى حظي التعس بعيني.

ألا تسمعين؟ أنت.. ألا تسمعين نحيبي؟

أيتها المرأة التي لا ترأف بي أبدا

لا تتركيني للسقوط في هذه الهوة السحيقة.

الزوجة: (تنظر نحوه في تساؤل)

الزوج: تعالي وارفعي النظارة من على عيني.

إن فقد البصر في هذه الآونة أجدى

يطمئننا كثيرا على أنفسنا وأشيائنا

الزوجة: (تذهب ويداها مكدستان بالجوارب وتخلع

نظارته)

الزوج: (في غضب حاد) أف.. ما هذا؟

الجوارب متسخة وعفنة.

متسخة وكريهة إلى حد مخيف

وباعث على القيء **(يتقيأ)**

الزوجة: (تعدو للداخل وتحضر منشفة، وتمسح السجادة ثم تدخل الحمام مرة أخرى)

الزوج: رغم أننا لم نعد نستعملها

منذ زمن بعيد.. جدا.

زمن يربو على القرنين.

(صمت)

الزوجة: (تعود إلى مقعدها)

الزوج: (في غضب وثورة)

لماذا لا تنظفين الجوارب ثم تحيكينها؟

أعيدي الحياكة فقط بعد التنظيف لا قبله

أنت لا تنظفينها على الإطلاق

(يتقيأ مرة أخرى)

الزوجة: (ترفع الجوارب أمامه جميعها)

الزوج: لا تحاولي اتهامي بالعمى

لا تحاولي ذلك..

على العموم لقد تخطيت الآن مرحلة صعبة

مرحلة من الصعوبة حيث إنني لا..

لا أستطيع التعبير عنها لأنني..

(يطوح الجرائد بعيدا بقدمه، صمت بعد برهة يصفر في صفاء)

نادي على بائع الفاكهة واسأليه

عما لديه اليوم لنا.

لقد أحضر ساعي البريد مرتبنا الشهري

المعاش.

اسأليه عما لديه لنا.

لقد اعتدنا كل حين

أن نأكل البشائر الأولى

من الفاكهة في كل موسم جديد

موسم أي فاكهة هذا؟

ألا تعرفين بتاتا؟

نقترب من الصيف مثلا؟

أم نقترب من الخريف؟

هل تشعرين بالبرد؟

هو البرتقال إذن.

فاكهة لا تتسق وبرودة الطقس أبدا.

أشعر بالبرد حين يتسال ماؤه إلى أمعائي

ويغرق يدي باللزوجة والبرد.

ما يضطرني لغسلهما تحت صنبور الثلج.

إنني أكره الشتاء.

فليكن ربيعا ما نحسه الآن.

(صمت)

لا بد أن نقيم اليوم مأدبة عشاء لاثنين

لاثنين وحيدين لا ثالث لهما..

سوى ذلك الحائط الصخري السميك الشرس

(صمت)

نقيم احتفالا؟

احتفالا لأي مناسبة؟

لأي مناسبة مثلا؟

علينا أن نخترع مناسبة جميلة

علينا أن نخترع مناسبة بهيجة

ما دمنا قد نسينا جميع احتفالاتنا

وتواريخها القديمة

ما دمنا لم نعد نذكر تواريخ الميلاد

أو تاريخ زواجنا الغريب.

أو تاريخ أول قبلة على الخد بيننا

اسمعي .. افعلي ما قلته لك.

أعدي عشاء لاثنين وحيدين

بين الجدب والسكون المميت

مأدبة عشاء لشيخوخة القلب التعب

الزوجة: (تقذف ما بيديها من جوارب وتتحرك حانقة للمطبخ، يمر صمت طويل)

الزوج: (وحيدا) هل صار يهمنا فعلا من يموت

ومن يعيش؟

هل الموت نفسه قادر على إيقاظ نخوتنا إلى هذا الحد؟

لا.. لا أعتقد ذلك.

إنه الموت الآخر الأكثر عنفا وغرابة

(صمت)

الزوجة: (تطل برأسها من باب المطبخ)

الزوج: (بغيظ) من ذلك الوغد الذي سيموت وحيدا؟

ومن سوف يخبرنا إذا ما مات؟

من أين سيأتي الخبر الرهيب؟

عبر هذه الجرائد أم عبر جرائد أخرى؟

إذا ما حاولنا تفادي الأخبار القذرة كلها

فما علينا ألا أن نتفادى قراءة هذه الصحف

القذرة كلها.

نعم يجب هذا.

يجب أن نفعل شيئا واحدا حقيقيا ومتسقا.

(يمزق بعض الجرائد)

الزوجة: (تعد منضدة مستطيلة كالتابوت وتفرشها بمفرش أبيض)

الزوج: لا يجب أن نشتري من الآن فصاعدا

أي جرائد أخرى جديدة

نمتنع عن تعاطيها تماما.. تماما.

لماذا نقرأ الأخبار

ما دمنا عاجزين عن الخروج؟

نعم.. ما دمنا عاجزين عن إرادة الخروج

وبالتالي عن التأثير في مجرى الأمور هنا أو هناك

ما جدوى المعرفة المهترئة البغيضة

والتي لا تمنحنا قدرا من الهدوء والسكينة

نستطيع معه مواصلة ال...

الزوجة: (تنظر له نظرة ساخرة)

الزوج: نعم عندك حق.. نعم

نفس ما جال بخاطرك يجول بخاطري الآن

حتى لو كنا نستطيع الخروج

هل كان سيبقى لخروجنا معنى؟

هل كان سيبقى لصراخنا أي تأثير على الأحداث؟

بالقطع لا.. بالقطع لا..

إن البلادة لم تصبنا وحدنا يا عزيزتي

لا يجب أن نفكر في الأمور على هذا النحو من الجدية

لن نقرأ الجرائد والسلام

(يتجه نحو النافذة ويدلي رأسه وبصوت غاضب)

لا تبعثوا لنا أيها الناس

بجرائدكم الصباحية ولا المسائية

لن نقرأ جرائدكم جميعا ما دمنا هنا.

(بغضب) لن أسمح لك أيضا بقراءة الأخبار
ما دمت عاجزة عن التأثير في مجراها
يجب أن نظل في حالنا.. نعم في حالنا
حتى نموت ورءوسنا ملتصقة بالأعناق
والأعناق مشدودة إلى الأكتاف ومرفوعة
حتى لو كنا من الداخل مهشمين.
نخبئ شرخا كبيرا وخيبة عظيمة
مزقي الجرائد إذن.
ولنقتصر على التفكير في همومنا وهموم أنفسنا
أو باستطاعتنا احتقارها أيضا.
غطي بها منضدة الطعام
وأسقطي فوقها ما شئت من الطبيخ
لا يجب أن نعامل الجرائد باحترام
فنحن لا نعامل أنفسنا أصلا باحترام
ما دمنا مصرين على..
هه ماذا يجول بخاطرك أيضا؟

لقد تكلمتُ بما فيه الكفاية

إذن حان دورك.. تكلمي بما فيه الكفاية

فمك غير مكمم.

الزوجة: (تحضر الأطباق الواحد تلو الآخر)

الزوج: حان دورك الآن لكي..

(صمت طويل)

الزوجة: (تكون قد أحضرت جميع الأطباق وتبدأ في التناول)

الزوج: (ينظر للطعام في تقزز واضح).

هل تظنين أنه بإمكاني أن أمد يدي للطعام بعد الآن؟

نفسي قد عافت الأشياء جميعها.. لا فائدة

إذن لا فائدة لأي شيء، ما دمنا مشبوحين على صليب عجزنا.

ما دمنا قانعين بهذا الموات المستحيل

ما دمنا نقول شيئا ونفعل شيئا آخر.

ما دمنا غير قادرين على المواجهة العنيفة

التي تحرك هذا الركود العنيف.

وما دام العالم غارقا في العفن القاتل للغد

والناس بهذه الأنفس الشريرة

الزوجة: (تنظر له وهي تأكل في تراخ)

الزوج: (فجأة) ما رأيك بإشعال حريق هائل

حريق يفوق الوصف.. كبير

كبير ويفوق الوصف. ويهز أركان العالم

الزوجة: (تنظر ساخرة وسرعان ما تضحك في هيستريا تكسر معها الأطباق وتسقط الطعام)

الزوج: (في برود شديد) نعم لا شيء يهز أركان العالم

ذلك لا لشيء.

إلا لأن العالم نفسه مهدم الأركان

العالم سيئ... سيئ على نحو بشع

ونحن لا نستطيع الإقدام على شيء

ونجبن عن أن نموت فداء أحبائنا

أو يموت أحباؤنا فداء عنا.

الزوجة: (تلملم الأطباق الواحد تلو الآخر وتغيب)

الزوج: نعم عندك حق.. عندك حق.

هل تذكرين قديما؟.. كل شيء كما هو

لأن الكماهو لا يطرأ عليه شيء

أنت كما أنت.

أنا كما أنا.

هو كما هو.

والكماهو لا ينتهي

ويظل هكذا أبدا.. كما هو.

(تنسحب الإضاءة ببطء حتى الإظلام).

الكماهو ٢

هذا شيء عبثي

دقات المسرح

طلقات رصاص

سعيد

(حجرة معيشة، أثاثها مرتب ورتيـب، مـدخل على اليمين يؤدي إلى المطبخ والحمام، على اليسار باب يؤدي إلى حجرة النوم، نافذة في صدر المسرح مغطاة بستارة قاتمة اللون، لا يوجد باب للخروج)

ـ ضوء خافت يغشى المكان.

ـ الزوجة وحيدة على مقعدها.

الزوجة: (تسقط من يدها الجوارب في ضجر تتجه بصوتها لغرفة النوم)

ماذا يبكيك الآن؟

ما الذي يبكيك الآن؟

ما الذي يـ..

(صمت)

لقد فرغنا من مناقشة هذا الأمر

ثم لفنا الصمت.

فهل تعود؟

(صمت)

الزوجة: لقد فعلت كل شيء.. نعم كل شيء

مزقت الجرائد.. أسقطت فوقها طعامنا

ولملمت ما تكسر من أطباق ومسحت الأرضية

وتكلمت كثيرا.. كثيرا جدا بما فيه الكفاية

قلت يمحو هما جاثما فوق صدره.. وتركتك.

ونسينا الأمر برمته.

كفكفنا دموعنا وغسلنا أعيننا.

واتفقنا أخيرا أخيرا على الصمت.

(صوت نحيب الزوج من الداخل)

كف عن هذا الآن.. كف.

الكل ميت لا محالة.

من أحبائنا ومن الأعداء أيضا.

لا دخل لأحد في شيء.

لا أحد يتدخل بتاتا في شيء.. بتاتا.

(صمت)

هذا العالم لا يجب أن نحزن عليه.

أو من أجله.

هذا العالم أنت تعرفه جيدا

تعرفه جيدا قبلي بكثير.

أنت أكبر مني طبعا بكثير.. جدا

ما زلت أنا لم أبلغ ال..

ما رأيك في شعري؟ طويل؟

(صمت)

كم من الأعوام مضت؟ كم؟

ومع ذلك تبكي من أجله.

العالم؟. ياااااه

العالم؟

(صمت)

من أجل من كل هذه الدموع التي..

أنا حتى هذه اللحظة لم أستطع فهم شيء

كيف أستطيع فعل هذا؟

أنت مغلق ككتاب.

(صمت)

قلت لك مرارا دعنا منه

فليعش كما هو.. كما ينبغي له

ذليلا أو منكسرا أو مخضبا رأسه بالوحل

أو كما..

فليكن الطقس باردا وحارا في آن

أو قاتلا ورديئا وجميـ..

فليكن..

(صمت)

دون أن يحركنا هذا أو يعنينا..

لقد اقتربنا من الموت وليس لنا بنات

لن يلحق بنا أكثر مما لحق بالآخرين.

جميعا.. كلهم

هل تحركنا هذه الحياة؟

الزوج: (يعبر حجرة المعيشة وعلى كتفه منشفة مبلولة ويسقط منها الماء)

الزوجة: (تتأمله لحظة وهو يعبر)

إلى الحمام طبعا.. طبعا.

أنت لا تفعل شيئا سوى الاستحمام

الاستحمام والبكاء والاستحمام.. طبعا

الاستحمام والاستحمام وال..

من دل قدميك على هذا الطريق؟

من اقترح عليك فكرة البكاء وغذاها فيك؟

الاستحمام.. من؟

الماء لا يغسل القلوب من حزنها

لا يغسل العيون من أرق اللحظات

اسمع.. اسمع يا...

أنا لن أنزعج أبدا

من أجل أحد هنا أو هناك

لا من أجلك ولا من أجل أحد هناك

(أصوات طلقات رصاص وانهيارات)

الزوج: (يعود مبتلا ليمكث على مقعده ناظرا للمطلق)

الزوجة: انظر.. انظر إلى ملابسك الرثة الرديئة

لقد اهترأت جميع ملابسك الجديدة

ليس لديك رغبة في تغييرها أو..

اشتر قميصا جديدا وتأهب للـ .

(بصوت منكسر)

خروج.

يجب أن تهتم بمظهرك وشكلك

بيجامة للنوم والجلوس في المنزل

بيجامة مخططة.. خضراء ومخططة صفراء

ومخططة مثلا.

الزوج: (يتأمل نفسه قليلا ثم لا يعيرها انتباها)

الزوجة: انظر في المرآة.. انظر لشكلك في المرآة

انظر.. هه؟

تهتم بالعالم ولا تهتم بشعر إبطيك

متناقض.. أنت متنا... ...

(صمت)

ملابسك رثة.. رثة..

(في غضب)

أنت رث.. لا تعجبني أيضا.

الزوج: (ينظر نحوها جامد الوجه)

الزوجة: (تقترب نحوه في حنو وأسف)

أنت بلا شك متفق معي تماما.

متفق تماما معي.

لقد عشنا كثيرا في حزن.

في حالة من الوجع الثقيل.

لماذا لا نفرح الآن.. الآن فقط؟

ونحن في آخر عمرينا.. أنا وأنت

لماذا لا نحاول فقط أن..

أتعرف؟

(تعامله كطفل بينما هو يزداد انكماشا)

لقد أحرقنا أبراج الحظ بكل ما فيها من ترهات

ونسيناها وامتنعنا عن تعاطيها

ولن يموت أحد.

(صوت انهيار ورصاص)

أنت ما زلت مصرا على الحزن.

(في غضب)

إنه في دمك.

كل أرجوك

(صمت)

الزوج: (يشيح بوجهه عنها)

الزوجة: أتريد حقا أن تموت؟

أن تجرب هذا؟

هل تريد أن..؟

(تضحك ساخرة)

أنا أيضا لا أستطع شيئا كهذا.

هذه الحياة نحن نكرهها فقط لأننا نخشاها.

لأننا نفكر في الموت أكثر مما ينبغي.

أكثر من الحياة نفسها والمستقبل.

كأجدادنا تماما.. تماما كأجدادنا.

(صوت انفجار طويل متقطع)

الزوج: (يضع إصبعيه في أذنيه في هدوء)

الزوجة: لا يمكننا فعل ذلك.. اسمعني.. نعم

لأننا نعشق شقاءنا

نتذكر فقط ذكرياتنا الأليمة.. فقط أما البطولات التي حققناها مثلا..

والذكريات التي مرت وملأتنا بإرادة الـ..

هه؟.. نعم.. بال..

(صمت)

الزوج: (لا يعيرها انتباها.. لحظـة ويـذهب إلـى النافـذة المغلقة يتردد في فتحها، هـي تحرضـه بإشـارات عصبية على فتحها.. أخيرا يعود للمقعـد دون فعـل شيء)

الزوجة: منذ أعوام كثيرة مضت.

وأنا لم يتغير رأيي في هذا العالم.

عكسك تماما..

أمامك هو قاتلك.

تأمل دائما أن تراه مختلفا.

مدينة فاضلة.. يوتوبيا.

أفلاطون مات.

تأمل دائما.. دائما

ولا شيء **(صمت)** يحدث

(تبتسم وتدندن)

أحيانا كنت تنام سبعة أيام في الأسبوع.

جفنه علم الغزل.. جفنه علم الغزل

(تكررها بشكل ممل ثم فجأة)

أحيانا كنت تضحك.

أحيانا كنت تشرب حتى الثمالة.

تصحو يوما واحدا فقط أو اثنين..

لتدخل الحمام.. تستحم ثم تنام

أحيانا تحلم، تغني، تهز السقف

بخطواتك الرشيقة الرائعة

(تبدأ رقصة تعبيرية وتحاول شده للـرقص، يبـدو رقصه بلا رغبة، إلى أن يصابا بإنهاك، تقع علـى مقعدها بينما يجلس هو منهكا على الأرض)

أحيانا تفتح عينيك

تغرق الوسائد بالدموع دون هوادة

ومع ذلك كله.

(تدندن مرة أخرى).

ومن العشق ما قتل.. جفنه علم الغزل

فإنه يسير كما يريد.

دون التفات إلى رقصك أو بكائك

لا تكره شيئا ولا تحبه.. نعم.. نعم..

كي لا تصدم فيه.

(صمت)

لقد انتهى يا عزيزي زمن الطفرات

والأحداث المهمة الجسيمة.

لقد سقط العالم من علائه

والإنسان من زهوه

اهنأ بسقوطك أيها الولد

اهنئي بسقوطك أيتها البنت

(تضحك بصعوبة)

(تعود لحياكة الجوارب مرة أخرى وهي تدندن بنغمة موسيقية حزينة)

الزوج: (ينظر إليها ممتعضا، لحظة، ثم يقوم مغادرا المكان فتعترض طريقه)

الزوجة: (بحدة) يجب أن نعود صغيرين مرة أخرى

نتذكر لحظات عنفواننا وسمو روحينا

نتذكر مراهقتنا الحالمة..

أيامنا الماضيات.

وإن كان لا بد من الحزن لكي تكون سعيدا.

فتذكر موت جميع الأحباء وأضحك..

موت الجيران وسوء الطالع.

اذكر الطالع الذي كان ينبئك كل يوم

بموت أحد الذين تحبهم كثيرا.

(صمت)

هه لن أحيك الجوارب إذا كان ذلك يضايقك.

نعم.. إنه يضايقك ويزيد غضبك على كل شيء هنا

لن أعمل بالحياكة مرة أخرى..

سأحاول عمل شيء آخر..

إذا كان يزعجك هذا.

الزوج: (يتحرك نحو الغرفة)

الزوجة: (تشده) امكث معي.. قليلا معي.. هنا

الزوج: (ينظر لها لحظات، يترك يدها بلطف ثم يذهب للغرفة ويغلق الباب)

الزوجة: - بعد غلق الباب) لا تغلق الباب

سأحضر لك طعاما أشهى.

أشهى من الذي لعقه الذباب

غير الذي ابتلعته الأرض.

بوسعك كسر الأطباق والأكواب والـ..

باستطاعتك كسر الملاعق.. والسكاكين أيضا

اسقط ما شئت من الطبيخ.

فلتشاركنا الأرض بهجة احتفالنا.

سأفتح النافذة.

الهواء صار نقيا.. والشمس أشرقت هناك

(تذهب نحو النافذة)

الزوج: (يعود مسرعا ويقف في مواجهتها)

الزوجة: (تعود بسهولة) لا تغضب إذن،

لن أفتح فمي بكلمة معك.

(تضع يدها على فمها وتحاول نطق الكلام بهذه الطريقة)

يمكنك أنت الكلام.. تفضل..

تستطيع أن تسري عن نفسك

بعض الوقت بالكلام... كل الوقت للكلام

لا شيء آخر.

الزوج: (يذهب نحو الحمام ويدخل)

الزوجة: (تصرخ فيه بعنف) مرة أخرى.

تعود مرة أخرى لهذا المكان.

افعل شيئا آخر.

(صمت طويل)

الزوجة: لقد قرأت بالأمس خبرا في الجريدة.

قذفوها من تحت الباب.

لم أكن راغبة في ذلك لكنها.

كانت تتراقص أمام عيني..

صدقني هذا ما حدث..

وعندما تشاغلت عنها قفزت على ساقي.

لم أكن أنا راغبة في القراءة

لقد وعدتك.. نعم لقد وعدتك..

لكنني قرأتها.

قالوا إن العالم يسير قدما نحو السلام.

ستتوقف مدافع الحرب والطائرات

ولن نرى أعضاء مبتورة..

وملقاة على قارعة الطريق وأعمدة النور

لن يكون بوسع أحد أن يهدد حوائطنا

ويقض مضاجعنا.. ويغرق الشوارع بأطفال موتى.

الطائرات سوف تستريح ساعة بأكملها

ساعة أو أكثر.. هه.. سامع

سيتوقف أزيزها اللعين الذي يثقب رءوسنا

الهدوء والدعة سيملآن الغرف حولنا.

اخرج الآن.. اخرج الآن وجرب

اشتر من السوق أشياءنا..

سيتوقف العالم عن نزاعه والشجار والموت.

(تذهب إلى الحمام وتطرقه، نسمع الطرقات

والصوت بينما لا نرى أحدا على المسرح)

سوف يتدخل الزعماء والمفكرون لوقف الحرب

لوقف جميع الحروب.

(طرق)

سوف يعملون لصالح الناس من الآن فصاعدا

(طرق)

صدقني سوف يحدث ما قالته الجرائد كلها

(طرق)

لا تكن عنيدا واسمعني.. لا تركب رأسك

وافتح الباب..

(طرق عنيف متصاعد حتى الخفوت)

(تخرج منهكة، تفتح النافذة، يندفع داخل المسرح

عدد هائل من الجرائد متعددة اللغات)

اخرج بسرعة.. بسرعة.

لقد احتشد العالم لإقناعنا..

بجدية وقف الدماء

لا تمكث عندك.. انظر ما في الجرائد.

(تلتقط جريدة) السلام سيعم العالم.

(جريدة أخرى) سيعم العالم السلام

(جريدة أخرى) العالم سيعمه السلام.

هذه عناوين الصحف.. انظر.

(تندفع الجرائد من جميع المنافذ ومن سقف المسرح وتتكوم فوق الزوجة)

اخرج أيها الـ..

أنا هنا.. هنا تحت كومات السلام

اخرج لترى عن قرب ما يحدث لنا.

الزوج: (يذهب نحو زوجته في دهشة تلجمه عن الفعل لحظات)

الزوجة: تحرك.. ألا تستطيع فعل أي شيء؟

تحرك.. أرجوك.. تحرك.

الزوج: (يلتقط الجرائد من فوق الزوجة ويعاود قذفها من النافذة، بعد لحظات الزوجة تقوم، تـنفض نفسـها بينما هو ما زال يقذف الجرائد المندفعة)

الزوجة: (تعاود الجلوس وحياكة الجوارب)

أسرع.. أكثر.. أكثر..

تحرك يا رجل.. أكثر.. أكثر..

ليس من الرجولة أبدا أن تكون

بهذا البطء الغريب الممل.

(الجرائد تندفع بغزارة والزوج يلهث وينهـك فـي إخراجها، وسط كل هذا نسمع ضجيجا من أغنيات السـلام وخطب سامية، إذاعات، أصوات مختلفة لغات متعددة)

الزوجة: (تصرخ بكلام غير مفهوم محفزة الزوج على

قذف الجرائد وهي جالسة، مشغولة في حياكة

الجوارب)

الزوج: (يعدو هنا وهناك ملقيا بالجرائد من النافذة، لحظات

عصيبة تمر بين هذا الضجيج المتصاعد، إلى أن

يفرغ منها فيغلق سريعا النافذة وجميع الأبواب

تخفت الأصوات تدريجيا متزامنة مع الغلق بينما

الزوج في حالة إنهاك شديد يرتمي على الأرض)

الزوجة: شكرا لك يا عزيزي البطل العنيد

لن أنسى لك هذا ما حييت..

التقط أنفاسك الآن..

لقد تعبت.. نعم لقد هدك التعب.

أنت عظيم دائما.. دائما عظيم

ودائما ما تذود عني كل المهالك

(تصفق بحرارة) ليس مثلك في الرجال

إنني أشكر الله دائما لأنك معي،

لأنك هنا.. معي.. معي هنا.. لأنك..

(صمت)

الجوارب ممزقة.. ممزقة جدا.

كان ولا بد أن أعاود الحياكة طبعا.

نعم الآن.. فنحن الآن..

على مشارف خروج من قوقعة..

عشنا فيها طويلا.. الخوف.. الضجر.

نستطيع الآن أن ننجب ولدا يا عزيزي

هل تعرف..

يجب طبعا أن..

سيكون من الضروري أن..

(يسود صمت طويل بينهما، بعد لحظة تفتح الأبـواب والنوافذ بعنف ليـدخل عبرهـا أصـوات رصـاص وطلقات مدافع، وأزيز طائرات، وأغان عن الحـرب القادمة وخطب وصـيحات جنـود.. فقـط الزوجـة والزوج ينظران لبعضهما طويلا بينما تخفت الإضاءة تدريجيا حتى..)

(إظلام)

أحلام سعيدة

الإهداء

إلى رجل جميل

متفرد ومنفرد

إلى: رضا مرزوق

سعيد

استهلال:

(ولما أتيناك مرة كنت تهذي
فرحا بتبغك وذكرياتك الأثيرة
وكنت تظن أن الوحدة تفضي للحياة
يا سيدي
هأنتذا ميت..
ونحن الذين وجدناك هيكلا من تراب
بعد زمن سحيق وضارب في القدم
نصلي عليك الآن
دون غسل أو جنازة
ونمضي تباعا)

الشخصيات:

١- **الرجل**.... في سن الستين... يدخن بشراهة.

٢- **الزوجة**... في سن الثلاثينيات.. جميلة وشقراء.

٣- **الضيف**... في سن مقاربة لسن الرجل وهو صديق قديم

٤- **الجار**

٥- **عامل التنظيف** } هؤلاء شخصية واحدة متباينة الملابس

٦- بائع اللبن

المشهد الأول

(المسرح مظلم تماما، نسمع خلال الإظلام ثمة أصـوات متداخلة وصاخبة)

- في صحة العزوبية.
- والأيام الجميلة.
- في صحة الأيام الجميلة.
- في صحة الوحدة.
- الصحية.

(ضحكات صاخبة ويضاء المسـرح علـى غرفـة معيشة، نافذة في صدر المسرح مغطاة بالسـتائر، باب جهة اليمين يؤدي إلى الخارج، بـاب اليسـار يؤدي إلى غرفة النوم... الرجل يجلس على أحـد المقاعد الوثيرة المغطاة مع باقي الأثـاث بطبقـة سميكة من الغبار.. يرتدي بيجامة منزلية، ذو شعر أشيب ونظارة سميكة.. يمسك بالجريدة الصباحية..

ينظر فيها ثم ما يلبث أن يتركها ليشعل سـيجارة.. يمسك بالجريدة مرة أخرى ويقلب صـفحاتها تقـع عيناه على خبر مهم.. يستغرق في القراءة بصوت خافت وسرعان ما يعلو مصحوبا بابتسامة مريرة)

الرجل: وقد وصل تعداد السوتيانات في العالم هذا العام إلـى رقم مخيف ويكفي أن تعرف أن في القارة الأفريقية وحدها ما يقارب العشرين مليارا.. ويعكس هذا العدد حاجة المرأة الملحة لسوتيانات وتوقها الدائم لتغييـر الموضة يوما بعد الآخر.. كما أن ذلـك يعـد مـن المكاسب المربحة لبيوت الأزياء الغربية.

(في هذه الأثناء نجد سوتيانات عديدة تسقط من أعلى المسرح ومن الباب المؤدي إلى غرفة النوم. الرجل ينظر مندهشا حوله وسرعان ما يستدير ناحية باب الغرفة)

أرجو أن تجمعي هذه الأشياء البالية في القمامة بدلا من قذفها هكذا على رءوس الأشهاد **(صـمت)** قلـت هذا عشرة آلاف مرة ولم أعد أحتمل ما تفعلينه كـل يوم **(صمت)** كل يوم.. هه؟ إن أفعالك هذه قد بـدأت

تشعرني بالضيق والغثيان **(صمت)** إن منظرها منفر وخارج السياق، يبعث على القرف.. مقـزز للـنفس الإنسانية على أية حال **(صمت)** ولم أكن بحاجة لذلك أبدا.

(تقذف في وجهه مجموعة أخرى)

اقذفيها في القمامة حالا وتخلصي منها وإلا أقسـمت بـ...

(تقذف مجموعة أخرى فيلتقط واحدا)

إنها ليست بالية تماما.. تكفي على الأقل سنة أخرى **(صمت)** لسنة أخرى تستطيعين استعمالها فإنني لـم أعد أحتمل طلباتك المتلاحقة هذه ألف مـرة، ألـف سوتيان في الشتاء وألـف سـوتيان فـي الخريـف والربيع.. الصيف وحده يرحمنا من تكاليفك الباهظة.

(تقذف مجموعة أخرى)

اللهم اجعل كل المواسم صيفا وارحمنا فأنـت خيـر الراحمين.. أرجوك نحن أحق بترشيد الاستهلاك من الحكومة التي شنفت آذاننا بترشيد الاستهلاك طويلا، لم يمض على بعضها سوى شـهر واحـد.. مـاذا

تفعلين؟ إنها ليسـت كالمـاء والهـواء.. إذا كانـت تضايقك أو تشعرك بالحرارة فالأدعى أن نوفر ثمنها في أشياء أهم **(صمت)** سراويل مثلا.. إنني لـم.. إن حواء نفسها مرضعة البشرية لم تحتج لكل هذا العدد الرهيب يوما ولم تطالب آدم بواحـد فقـط... أنـت عنيدة.. انظري بشراسة كعادتك الزنيمة.. زواجنـا خطيئة.

الرجل: اقذفيها إذن في صفائح القمامة وليعوضنا الله.

ص الزوجة: (مصاحبا لقذف سوتيان) كلها بالية.

الزوجة: (تواجهه) جنبا إلى جنب مع القمامة؟

الرجل: جنبا إلى جنب مع الـ..

الزوجة: إن عيون الجيران لا تنفك تنظر في السلة محدقة في كل صعود ونزول.

الرجل: وما شأن الجيران بصفائحنا؟

الزوجة: الوغد الذي يسكن في الدور العلوي قد اطلع علـى الألوان التي أرتديها تبعا للطقس اليـومي.. الأطقـم كاملة صار يخمن ألوانها.. إنه لا يطاق وقد خدعتـه أكثر من مرة.. هـ.

الرجل: وكيف خدعتيه أيتها الثعلبة؟

الزوجة: خمن بالأمس أنه أخضر.. قال ذلك ففتحـت أزرار البلوزة لكي يرى آثار غبائه بنفسه.

الرجل: أكان أزرق إذن؟

الزوجة: **(تفتح البلوزة بسرعة)** كان لا شيء.

الرجل: أوه **(يخفي وجهه).**

الزوجة: لقد احمر وجهه خجلا مثلك أيضا.

(يرن جرس الباب فيلملم السوتيانات ويقذفها داخل الحجرة)

الرجـل: ادخلي الآن،.. لكن يجب أن تلبسي واحدا من هـذه **(يدفعها للداخل)** يمكنك أن تلبسي هذا.. أو هذا.. إذا كنت تفضلين هذا فخذيه.. وهذا. أما هذا فهو ممزق تماما فعلا **(يرن الجرس)** حاضر انتظر.. ارتدي هذا إذا كان لا يعجبك اللون الأحمر اليوم.. أو الأخضر أو الأصفر **(يرن الجرس)** يووه. هل يجب أن أفتح الباب وزوجتي على هذا النحو من العري؟ لا ترتدي الأزرق اليوم واستمر في خداع الأوغاد.

(يكون قد أنهك تماما من الجمع فيتجه ليفتح الباب)

الرجل: نعم؟

الجار: أنا....

الرجل: لا نريد اليوم... شكرا **(يهم بغلق الباب)**

الجار: **(يمنع غلق الباب)** انتظر يا سيدي أنا..

الرجل: لن نكلم اليوم أحدا.

الجار: أنا جاركم في الدور الخامس ولي سؤال بسيط جدا.

الرجل: من؟.. الوغد السخيف؟ **(يعلو صوته نحو باب حجرة النوم)** الوغد السخيف صاحب التخمينات الملتهبة والنظرة الثاقبة جاء ليطلع على آخر ألوان ملابس حرمنا المصون.. يا الله **(يتجه نحو الباب ويغلقه بعنف)** أنا لا أعرف أي صفاقة تلك.. إنني أعاني. إن الذين يأتون خلفك كل يوم قد أنهكوني تماما من الحديث والنظرات المتسللة عبري إلى داخل البيت، لعنة الله على الزواج.. إنه اللعنة نفسها.

(يجلس منهكا وتمر فترة صمت.. ثم يمسك بالجريدة يحملق فيها برهة ثم يتركها في قرف). دائما ما كنت

أفكر في هذا الأمر قبل الزواج.. مشـاكل الـزواج.. أحلامي السعيدة بالزواج ماتت تماما من أول شـهر.. صارت أحلامي كلها وقفا عليك، أحلم مـن أجلـك.. أموت من أجلك.. أنتحر كل يوم في العمل من أجلـك أنت. فما الذي أفعله من أجلي أنا؟.. أين أحلامي وما كنت أرسمه لنفسي **(صمت)** ودائما ما كنـت أقـرن الزواج بالتكاليف الباهظة.. كنت أقارن بـين أسـعار الملابس التي يجب أن أرتديها لكي أظهـر بمظهـر طيب أمام العالم والملابس الداخلية لامـرأة.. امـرأة سترتديها فقط في حضرتي.. قلت لا ضير طالما أنني أستطيع الاستغناء عنها عند العمل الحقيقي فليس أكثر من الاستغناء عنها تماما تماما.. فلا حاجـة للتفكيـر المعوق إذن في هذا الأمر.. فلتتزوج يـا رجـل ولا يرهبنك ثمن سوتيان في العام أو طاقما كاملا حتـى، فلسنا بحاجة ملحة لهذه الأشياء المعوقة للتقـدم نحـو السعادة والمتعة الحقيقية.. ثم بعد الـزواج الميمـون وبعد خمسة أسابيع فقط.. خمسة أسـابيع فقـط مـن الكارثة المروعة.. كان علي أن أشتري خمسة أقطـم

كاملة.. طاقما لكل أسبوع مضى على وقوعنـا فـي بركان الكارثة.. حاولت إقناع المدام بعـدم جـدوى الإكثار من هذه الأشياء لأنها لا تثيرني في أول الليل ولا حتى في آخره.

الزوجة: **(تخرج)** إن الحياء يمنعني أن أبدو..

الرجل: **(مقاطعا)** بوسعك يا سيدتي إطفـاء جميـع الأنـوار وغلق النوافذ.

الزوجة: وكيف أبدو أمام نفسي؟

الرجل: سأضمن لك عدم النظر إلى نفسك طوال الربع ساعة التي نقضيها في الـ..

الزوجة: أنت وقح.

الرجل: شكرا يا سيدتي.. شكرا. لكن اسمعيني جيدا.. ألـيس بإمكاننا أن نكون أصدقاء.. فليست العلاقة الزوجيـة بين الزوجين مخلوقة للشراسة والإرهاف بدلا مـن الخلود إلى السكينة.. لا بد أن ننسق حياتنا.. نتبـادل الحوار ساعة على الأقل كل يوم.. لا بد أن يتبسم كل منا في وجه الآخر مرة في اليوم على الأكثر.

الزوجة: وهل أترك العمل لنتحاور ساعة كل يوم؟

الرجل: اتركي العمل إذن ما دام لا يوفر ثمن ملابسك هذه.. أنا الذي يدفع وينتقي ويحضر وكل هذا من ماله الذي لا يزيد على الحاجـة أبـدا.. لكنـه مقتطـع مـن ضروريات الحياة.. لماذا تتمسكين بالعمل إذا كنـت على هذا القدر من البخل حتى على.. **(صـمت)** إن الحياء يمنعني إن.. **(صمت)** زواجنا خطيئـة.. هـه خطيئة لا يتخلص منهـا المـرء لا بالاسـتغفار ولا بالتوبة ككل الخطايا.. لا يتخلص منهـا المـرء إلا بأبغض الحلال أو المـوت.. إننـي ابتـاع جميـع أشيائك.. فلتذهبي للجحيم إذن بعملك الأسود هذا.

الزوجة: أنت متطاول وعربيد.. لعبت الخمر برأسك.

الرجل: خمر؟ **(يضحك)** أين المال الذي باستطاعتي اكتنـازه ليكفي الخمر والسوتيانات؟ أنت تمزحين.

الزوجة: أنت تشرب هناك.

الرجل: هناك؟ أي هناك تقصدين؟ جميع رفاقي العزاب قـد نبذوني بعد خبر موتي.. زواجي.

الزوجة: زواجك مني موت؟

الرجل: الفكرة نفسها موت.

الزوجة: لا تستطيع تقدير دوري جيدا أبدا.. سأريحك تماما.. سأريحك حتى يعود صوابك المفقود إلى رأسك.

الرجل: وهل تركت لي رأسا ليعود إليه صـوابي المفقـود؟. أنت تمزحين يا ذات الدور الإنساني في الحياة كلها.

الزوجة: **(محتدة)** سأذهب إلى بيت أبي..

الرجل: لقد وجدتي فرصة سانحة لتحمل مسئوليتك بدلا منه.. فهل تعتقدين أنه سيرحب بعودتك إلى بيت دب فيـه الخراب والفاقة من أثر طلباتـك التـي لا تـنفض؟ الرجل كاد يجن وينتحر حين قرأ فقط سـعر طـاقم واحد.. طاقم داخلي واحد وهو مقدم على تجهيـزك لي.. لكي.. لكي.. لا أجد كلمة تليق بحجم اللعنة.

الزوجة: أنت أخرق.. دائما ما ترفع صوتك حين تتحدث في هذا الأمر بالذات.. لا أعرف لماذا؟ لقـد أصـبحت سيرة الشارع كله.. صارت مشـاكلنا تلوكهـا كـل الألسنة القذرة.

الرجل: وأنا صار عري مؤخرتي سيرة المجتمع الراقي كله.

الزوجة: لماذا أقدمت على الزواج ما دمت على هذا النحـو من البخل والتقتير؟

الرجل: **(يضحك).**

الزوجة: اضحك.. اضحك واهرب في الضحك حين أضـيق عليك الخناق.

الرجل: **(يزداد ضحكه)**

الزوجة: ذاك لأنك لا تجد ردا مقنعا.

الرجل: **(يزداد ضحكه)**

الزوجة: اضحك فقد عهدتك معتوها منذ الليلة الأولى.

الرجل: **(يضحك في هستيريا).**

الزوجة: لم يخطئ داروين أيها القرد العجوز التعس... لماذا تضحك يا مجنون؟

الرجل: بخلي؟ بخلي أنا؟.. إن.. إن.. إن نهديك فقط يا امرأة يكلفاني في الشهر أضعاف ما يكلفني جسدي كله في عام كامل.

الزوجة: إنك دائما ما..

(يرن جرس الباب.. يكتم فمها ثم يعدو لكي يفتحه)

الرجل: هش.. ادخلي الآن.. هش.

(يدفع زوجته للداخل ويفتح الباب فيجد الجار في

(هيئة بائع اللبن)

البائع: لبن يا سيدي؟

الرجل: نعم يا سيدي؟

البائع: لبن.

الرجل: **(يضحك)** لا شكرا **(يفاجأ)** أنت..

البائع: لبن طازج.

الرجل: إننا نهتم بمعملنا الحي بدرجة كافية.. **(يغلـق البـاب بعنف)**

(فلاش باك)

ـ: في صحة العزوبية.

ـ: والأيام الجميلة.

ـ: في صحة الوحدة.

ـ: الصحية.

الرجل: (يفيق من التذكر) كان يجب علي الاسـتماع جيـدا لنصائح الرفاق القدامى.. إنهم يعيشون بين مخالـب القردة المعتوهة المسرفة. **(يمسك الجريدة ينظر فيها ثم يتركها تسقط)** لقد خلق الله النسـاء لكـي يبتـز

الرجال أموال الرجال ثم لا شيء.. لقد جلبـت لـي الفقر والإفلاس تماما بعد عام واحد من الـ.. الثروة التي أفنيت عمري في جمعها أفنيت في عام واحد.. لكننا والحق يقال نملـك ثـروة أيهـا العـالم مـن السوتيانات الباهرة.

(يرن جرس الباب فيتجه في تثاقل ليفتحه)

عامل المكواة: (هو نفسه الجار في ثـوب آخـر) مسـاء الخير.

الرجل: نعم؟

عامل المكواة: لقد افتتحنا يا سيدي بالأمس فقط..

الرجل: (مقاطعا) متجرا لبيع السوتيانات ؟

عامل المكواة: نعم؟

الرجل: ماذا افتتحتم بالأمس أيها الوغد السخيف ذو النظـرة الملعونة؟

عامل المكواة (ناظرا له باستغراب): محلا للكي والتنظيـف على أحدث الطرق التكنولوجية.

الرجل: كي ماذا؟

عامل المكواة: الملابس.

الرجل: (بعنف) وهل أخبرك أحد أيها الوغد أننا نملـك الآن أي ملابس سوى الـ..

(يغلق الباب بعنف ويعود للمقعد.. لحظـة صـمت، يتذكر شيئا.. فيعدو نحو الباب خارجا منه ثم نسـمع صوته من الخارج بينما تخلو خشبة المسرح)

ص الرجل: اسمع.. اسمع أيها الوغد العزيز.. أرجـوك إذا عن لكم أن تفتتحوا محلا آخر لكي وتنظيف الملابس الداخلية.. أرجو أن تبقي هذا سرا لديك ولا تخبرنـا أبدا.. لا تخبرنا أيها الوغد العزيز.. لا تخبرنا بهـذه السخافات أسمعت؟ **(يغلق الباب بعنف ويعود)**

الرجل: **(وحيدا)** فلتذهب إلى الجحيم أنت والكي والملابـس والزواج واللبن ولتعش الوحدة طويلا والخلاء إلـى النفس الإنسانية... فليذهب الضجيج والعجز والفلس إلى الجحيم.. ولتعش أيها اليائس وحيدا بين جـدران الهدوء والخلود إلى الراحة يوما واحدا.

(يجاس متهالكا على أحد المقاعـد بينمـا تخفـت الإضاءة تدريجيا حتى يحدث...)

(إظلام)

المشهد الثاني

(نفس المنظر السابق بعد مضي فترة زمنية يبدو الرجل أكثر كهولة، الشعر الأبـيض يغطـي رأسه والنظـارة قـد ازدادت سـمكا، صـورة الموناليزا معلقة في صدر المسـرح ـ الرجـل يجاس منكمشا على أحد المقاعد، الضيف الكهـل يقبع وحيدا في أحد الأركان النائية)

الرجل: أهلا.. **(صمت)** أهلا وسهلا **(صمت)** لم يعـد أحـد يراكم منذ فترة طويلة، فترة في الحقيقة قـد امتـدت لزمن سحيق **(صمت)** لم يعد يزورنا طيفـك البهـي لماذا لم تأت أو حتى تراسلني أو حتـى.. **(صـمت)** ترسل السلام مع رفيق قديم؟

الضيف: كنت مشغولا.

الرجل: ستين عاما **(صمت)** لم تفرغ ولو لساعة واحدة لترى رفيقا يموت.

الضيف: لا أعرف ما الذي شغلني عنك.. أو الشـيء الـذي كان يشغلني **(صمت)** أنت.. ما أخبارك؟ من زمـن طويل لم يعد أحد يراك.

الرجل: **(يشير على الصورة)** ابنتي.. أرأيت ابنتي؟

الضيف: هه؟

الرجل: ابنتي.. أنا الذي أنجبتها كلها.. الصورة فقط نصفية.

الضيف: **(يحدق في الصورة طويلا ثم ينظر للرجل)** واضح.

الرجل: كبرت.. هه كبرت؟

الضيف: كبرت جدا..

الرجل: ومنذ أن نبت نهـدها وهـي لا تكـف عـن طلـب السوتيانات أبدا.. المرحومة أيضا **(صـمت)** المـدام كانت لا تكف عن طلب هذه الأشياء اللعينة **(صمت)** لقد صار بلوغ البنات معقدا.. المدنية شيء مكلـف للغاية.. جدا.

الضيف: فعلا.

الرجل: أليس كذلك؟

الضيف: فعلا.

الرجل: ومنذ ذلك الحين وأنا تُبتز جميع أموالي.. النهود تبتز أموالي.. الغرب مصِر على إدخالي في أزمة لا معقولة.. متاجر البلاد كلها تحاربني وأنا الأعزل المسكين **(صمت)** أنا لا أستطيع شراء أي غذاء يحتوي على أي بروتين حيواني أو حتى نباتي.. الأموال ضائعة على أشيائهن الكثيرة.

الضيف: مكلفة جدا حقا.

الرجل: من عشرين عاما وأنا لا أستطيع شراء سروال جديد وجيد.. أرأيت فعل الزمن بنا أيها العزيز؟ (صمت) زمن غريب.. لا بد وحتما أن نرضي فلذات أكبادنا ولو على حساب مؤخراتنا.. من عشرين عاما وأنا أبدل سروالين وحيدين.

الضيف: كم؟

الرجل: سروالين وحيدين.

الضيف: كم عاما؟

الرجل: منذ ما يقرب من عشرين عاما.

الضيف: ابنتك **(يشير للصورة)**

الرجل: خمسة عشر عاما الآن.

الضيف: خمسة عشر؟

الرجل: مكثت خمسة أعوام كاملة وأنا أفكـر فـي الأمـر.. أتفحصه.. أقلبه يمينا ويسارا وعلى جميـع الأوجـه الممكنة إلى أن ضاقت زوجتي بالأمر.

الضيف: أي أمر؟

الرجل: أمر الـ.. أمر الاجتماع العائلي الدوري..

الضيف: خمسة أعوام؟

الرجل: كنت خلالها أخشى نتائج الفعلة الخرقاء.. عشر دقائق تكلفة الإنسان ما لا طاقة له بـه.. الفعلـة الخرقـاء أسفرت عن بنت كبرت الآن تبيعنـي جلـدي كمـا جعلتني أمها قديما أبيع جميع ما امتلكت وما توارثته عن الأجيال خلال خمسة قرون من الزمـان.. ولـم يبق لي الآن سوى غبـار كثيـف علـى عينـي.. والسجاجيد والمقاعد.

الضيف: عما قريب سوف تتزوج أكيد.

الرجل: (في غضب) مرة أخرى؟ مرة أخرى؟ لقد تزوجـت وأنجبت مر على ذلك سنوات وسنوات **(صمت)** أنت لا تفهمني إذن.. ما سبب نكبتي وعمى عيني وقلـة حيلتي؟ أنت لا تستطيع أن تفهمني جيدا لأنـك لـم تجرب الحماقة مثلي.

الضيف: (يقف ويشير للصورة) هي.. هي..

الرجل: ابنتي؟ **(يلاحظ وقوفه)** امكث أرجوك.. لقد صـرت أعشق الوحدة فـي الأيـام الأخيـرة ولا أحـب أن يشاركني أحد مقعدي.. أو حجرتـي لكنـك عزيـز **(صمت)** أي واحد حتى ولو كـان أحـد الأصـدقاء القدامى الأعزاء الذين لم أعد أراهم بعد ما أفلسـت تماما.. تماما.. إن الأعزاء جميعهم أيها العزيـز لا يأتون الآن لأنني ما عدت أملك أي شيء أي شيء.

الضيف: عما قريب سوف تتزوج بالتأكيد.

الرجل: أنا؟

الضيف: البنت.

الرجل: أريد لها ذلك الآن لا غدا.

الضيف: لا بأس.. هل..

الرجل: هل مللت الجلوس هناك والتحدث من على هذا البعد؟

الضيف: كلا بالطبع **(صمت)** الحديث عن نهدي ابنتك ممتـع جدا ومخصب للخيال.

الرجل: ذلك من حسن أخلاقك.

الضيف: **(وهو يبتسم)** شكرا.

الرجل: وحسن أخلاقك هذا لا يتأتى إلى من قلة حيلتك **(تمر فترة صمت).**

الرجل: **(يتجه نحو حجرة النوم)** امكثي عندك يا صغيرتي.. معي صديق قديم وقح.

الضيف: ماذا؟

الرجل: لماذا تعود بعد كل هذه الغيبة الطويلة؟.. مـن هـم هؤلاء الفئران الذين أخبروك بإنجابي لفتاة كالقمر.؟

الضيف: **(مشدوها)** لا أحد.. أنت.. أنت..

الرجل: أنا هو الفأر أيها الكهل المعتوه؟ ما الذي دعاكم بعـد كل هذا العمر لأن تتلصصوا على حياتي الشخصـية والخاصة؟.. ألم يكفكم ما أنا فيه حتى تعودوا لكـي تجعلوني سخرية وهزوا؟

الضيف: أنت الذي أخبرتني منذ قليل **(صمت مشوب بالدهشة)** لقد نصحناك بعدم الإقدام على فعلتك كثيرا.. لكنك دائما لا تثق بكلامنا.

الرجل: اخرس.. أنت لا تعرف كيف تسير الحياة هنا على الإطلاق.. ولا تعرف ما أعاني. **(يهدأ وتمر فترة صمت).**

الضيف: ماذا دهاك؟

الرجل: لا شيء.. لا شيء.. إنني..

الضيف: الجميع يسألون عنك فعلا.. لقد افتقدناك في جلساتنا.

الرجل: عني؟ أتعتقد هذا حقا؟ ولا أنا صرت أراهم أو حتى أرى ظلالهم.. ماذا حدث لهم جميعا؟.. لقد نبذوني تماما بعدما أعلنوا بكارثتي.. نبذوني تماما منذ أعوام سحيقة وضاربة في القدم.

الضيف: وهل تعمل الآن؟

الرجل: هل أعمل الآن؟

الضيف: في تجارتك.

الرجل: ضعف بصري.. كان في يوم من الأيام أحد من عين الصقر.. كعيني زرقاء اليمامة.. الآن هأنت تـرى.. منذ ما يقرب من عشرين عاما وأنا لا أستطيع الرؤية جيدا لأبعد من خطوتين.. خطوتان أبصر ما قبلهمـا فقط.. لقد أفلست تماما ولم أستطع علاجا لعيني أيها العزيز.. ورأسي على وشك الانفجار.. اللعنة عليكم جميعا.. تركتموني أرتكب الحماقات الواحـدة تلـو الأخرى دون نصيحة ملحة.. كـان يجـب علـيكم إقناعي جيدا.. كان يمكنهم أن يضربوني أو يسحقوا عظامي.

الضيف: لم نتركك لحظة واحدة.

الرجل: الآن هأنذا ككلاب أجرب.

الضيف: شيء مرهق.

الرجل: لا بأس.. هل تناولت الغذاء أم يجب علي أن أحضره لك؟

الضيف: لا ضير.

الرجل: إنني لا أعمل أيها العزيز؟

الضيف: هل تتكاسل أم ستخسر كثيرا أيها البخيل؟

الرجل: احترم نفسك **(صمت)** اسمع.. ابنتي تعد طعاما شـهيا **(صمت)** لن تستطيع الاحتفاظ بأصابعك إذا ما شممت فقط الرائحة.. شهي... أليس كذلك؟ قل رأيـك فـي رائحة طعام البنت ولا تخجل.. هل تشم؟

الضيف: ربما.

الرجـل: ابنتي ستحضره لك الآن وأنت جالس في مكانـك.. اسمع أرجوك حين تأتي بالطعام لا يجب عليـك أن تحدق في نهديها كثيرا.. إنها تخجـل مـن عيـون الأغراب.. لا تحدق كثيرا هه إن هذا يضايقها.. بل إن هذا ما يجعلها تطالبني بسوتيانات أكثر إحكامـا.. إنها تكره المتطفلين والخبثاء.. لا تكن مـتطفلا ولا تحاول التلصص أيها الجرز ذو العيـون الجاحظـة الكريهة.

(يذهب ويختفي لحظات ثم يعود حاملا الأطباق الواحد تلو الآخر)

الضيف: أليس لديك غيرها؟

الرجل: قابعة هناك.. أمام التليفزيون.. دائما ما تحملق فـي النساء والملابس والقطط.

الضيف: هي فقط؟

الرجل: هي وفتاة أخرى صغيرة.. أتمنى أن تظل هكـذا ولا تكبر أبدا.

الضيف: **(لحظة صمت ثم ينفجر في الضحك)** آه.

الرجل: ليس من أجل شراء سـوتيانات جديـدة.. بوسـعها استعمال سوتيانات أختها.

الضيف: إذن لماذا؟

الرجل: أشياء أخرى لا يمكن استعمالها مرتين على الإطلاق.

الضيف: آه فهمت **(يستخرج الضيف كيسـا مـن المناديـل البيضاء وقبل أن يتمخط)**

الرجل: معك مثله.

الضيف: ماذا؟

الرجل: ألويز.

الضيف: كيس مناديل.

الرجل: تصورت أنها.. (يضحك) وابنتك؟

الضيف: لم أتزوج بعد.

الرجل: حافظت على البقية الباقية من العافية والبصر والمال.

الضيف: أنا لا أعاني من الفقر أبدا.

الرجل: ستعاني حين تفعلها.

الضيف: سأختنق إذا شاركني أحد منزلي.

الرجل: ألديك منزل؟

الضيف: تقريبا.

الرجل: لا أفهم.

الضيف: أحيانا.

الرجل: متنقل؟ سائح في العالم بلا رقيب أو حسيب؟، حقك.

الضيف: أحاول العثور على خيمة جديدة ومكان بعيد خـارج هذا العالم الموبوء الغريب.

الرجل: العالم موبوء وغريب.

الضيف: وأنا أحب الوحدة.

الرجل: الصحية **(يضحك وتأتي أصوات من الفـلاش بـاك نفس الأصوات المتداخلة)**

ـ: في صحة العزوبية.

ـ: والأيام الجميلة.

ـ: في صحة الوحدة.

ـ: الصحية.

(ضحكات صاخبة وبعدها تمر فترة صمت)

الرجل: الوحدة الصحية القديمة بين الرفاق القدامى وحفـلات السمر والقهوة والفرح اليومي القديم.. ألا تذكر؟

الضيف: الآن يا سيدي أحب الاختلاء مع أحلامي ونفسـي.. لا أستطيع أن أتصور أحدا مشاركا لي في حيـاتي.. يشدني للخلف إذا ما غامرت أو جئت أو ذهبـت أو ضعت.. المرأة يا صاحبي تتقاسم خبزنا لتعذبنا برفع صوتها المطالب دائما بحاجات ليس بوسعنا الوفـاء بها.. أنا لست أرجوحة حتى أفعل ما فعلت أنت ولن أكون.. عندها سأختنق تماما، أنـا لا أمشـي فـي الشارع ولا أركب الأتوبيسات ولـيس بوسـعي أن أتحمل رؤية أحد أو النظر في وجـوه المتـزوجين التعساء الناقمين دائما علي لأنني مصِر للآن علـى تحرري وتوحدي وانفرادي أشعر بذلك فعلا.. هـم حاقدون علي.. وأنت واحد منهم لا أكثر ولا أقـل.. أنت واحد ممن يفسرون تفردي على أنه قلة حيلـة.. لكن قل لي: أين تلك المرأة التي من أجلها أضـحى

بعصمة نفسي من الزلل في الجنون؟ هه؟ لمـاذا لا ترد؟ اهنأ بجنونك أيها القرد التعس.

(تخفت الإضاءة تدريجيا على الضيف وهو يتحدث وحين تضاء يكون الضيف قد اختفى تماما)

صدى صوت الضيف: اهنأ بجنونك أيها القرد التعس. اهنـأ بجنونك أيها القرد التعس.

الرجل: **(في حزن بالغ)** القرد التعس.. أنا عكسـك تمامـا.. قضيت حياتي كلها أحلم بمـن يمـلأ علـي البيـت بالصياح والضجيج، بامرأة تخلعنـي مـن وحـدتي تنقذني منها، تسبني وأسبها.. لا ضير في كل هـذا تطالبني بسوتيانات أو حتى أطقـم داخليـة كاملـة وكثيرة.. أفلس من أجلها ويضعف بصري.. أغـار عليها وأتوهم جميع الرجال جارا وغدا وسـخيفا وذا نظرة ثاقبة أنا كما ترى الآن رجل غني.. غني جدا ولكنني عفن.. أمضيت حياتي كلها في جمع المـال وأفنيت عمري في أشياء لم تستطع أن تملـي علـي لحظة إنسانية واحدة.. ليس لي زوجة هنا أو هنـاك أو في أي مكان آخر.. ولا بنت تشاغبني وتعضـني

من وجنتي وتداعب شعري ولم أكن بحاجـة ملحـة لهذا المال الكثير.. أبدا.. أبدا. ماذا يجـدي وحـده؟ وهذه الأشياء التي حولك جميعها.. والمغطاة بالتراب كأنها أثاث قبر قديم وأكفان موتى وأنت لا تسـتطيع أن تحيا لحظة إنسانية وحيدة وجيدة وسعيدة.. لكـن احتياجك لهذه اللحظات يجعلك تتوهم ناسا حولـك.. تشاغبهم ويشاغبونك.. تضحك مـنهم ويضـحكون منك.. كان يجب منذ البداية أن أفكر على نحو جيـد رغم كل شيء في أنني سأحتاج في يوم مـا وفـي لحظة ما لحضن امرأة، يضمني حين لا يقدر المـال والأقربون الطامعون على ضـمي إلـى صـدورهم ضمة حقيقية بدون ثمن كبير أو حتى بخس.. وأنني في يوم ما وفي لحظة ما.. سأحتاج لبنـت حقيقيـة تجلس كالملاك في حجري.. وولد يعدو في كل هذه الحجرات الشاسعة الخالية من كل حياة وكل صوت.. إننا يا صديقي العزيز نضيع حياتنا فـي أوهـام لا تفيدنا حين نقترب رويدا رويدا من الشيخوخة التـي تحتضن عنفواننا جميعا.. دون أن نكون قد مررنـا

بلحظة حقيقية وسعيدة تبدد عطشنا الـدائم (يجلـس منهكا على أحد المقاعد وتخور قواه) إننـي عطـش أيها العالم لجرعة ماء وليست يدي تقوى على حمـل كوب وليست ساقي قادرة على الخطو خطوة للأمام.

(تخفت الإضاءة تدريجيا حتى يحدث...)

(إظلام)

فانتازيا العالم الرابع

افتتاحية

(صحراء قاحلة ممتدة.. محاطة بأسوار من الأسلاك الشائكة.. في الأفق توجد عدة مشـانق فارغة، في مشنقةٍ من هـذه المشـانق يكـون سبارتاكوس معلقا، بينما الكورس بملابسه البالية في مقدمة المسرح منكس الرءوس)

الكورس: المجد للشيطان معبود الرياح.

من قال لا.. في وجه من قالوا نعم

من علم الإنسان تمزيق العدم.

من قال لا.. لا يمت.

وظل روحا أبدية الألم.

سبارتاكوس: **(صدى بعيد)** معلق أنا على مشانق الصباح

وجبهتي بالموت محنية.

ذلك أني لم أحنها حية.

يا أخوتي الذين يعبرون في الميدان مطرقين

ارفعوا رءوسكم للثائر المشنوق

فلسوف تنتهون مثله غدا.

الكورس: العنكبوت فوق أعناق الرجال

ينسج الردى

العنكبوت فوق أعناق الرجال

ينسج الردى

سبارتاكوس: قبلوا زوجاتكم.

أني تركت زوجتي بلا وداع

وإن رأيتم طفلي الذي تركته على ذراعها

بلا ذراع.

فعلموه الانحناء.. علموه الانحناء

فليس ثم من مفر.

لا تحلموا بعالم سعيد

فخاف كل قيصر يموت

قيصر جديد

الكورس: العنكبوت فوق أعناق الرجال

ينسج الردى

سبارتاكوس: وخاف كل ثائر يموت

أحزان بلا جدوى.

ودمعه سدى.

(موسيقى من العمـق وتسـحب الإضـاءة علـى الرءوس المنحنية حتى...)

(إظلام)

اللوحة الأولى

(موسيقى حماسية صاخبة، حركات سريعة وفزعة من أشخاص يعدون في المكان، بعد لحظات تهدأ حركة الجميع، وتظهر المذيعة من وسط الصخب والضجيج والزحام)

المذيعة: سادتي آنساتي سيداتي.. جاءنا الآن البيان التالي **(تقرأ من ورقة معها)** أما وقد أعلن ما تنتويه القوة العظمى الوحيدة من سحق العالم الرابع.. وذلك تخلصا من أسلحة الدمار الشامل بعد الاتفاقية الأخيرة بين دول العالم الأول وتخلصا أيضا من مشاكله المستديمة - كما يدعون - فلا يسعنا.. نحن شعوب العالم الرابع المكسور الجناح.. إلا أن نرفض هذا الغرور.. والقرار المجنون ونفعل شيئا.

(تندفع إشارات ضبط الوقت ويظهر المذيع في بقعة أعلى المسرح)

المذيع: أعلنت إشارات ضبط الوقت عن السـاعة الحاديـة عشرة والنصف.. حسب التوقيـت المحلـي للعـالم الرابع.. نصف ساعة وننتهي جميعا من العالم كله.

(تعود الموسيقى الصاخبة مرة أخرى ويعود الهلع يلف الناس والمكان)

ـــــ: أعوذ بالله من غضب الله.

ـــــ: الرب ينجينا.. هللويا.. الخلاص والمجد والكرامـة والقدرة للرب إلهنا.. لأن أحكامه حق وعادلة.

ـــــ: يا نهار أسود ومش فايت.. هـو إحنـا قطـط ولا فيران يا جدعان.. علشان نموت الموتة العفشة دي؟

ـــــ: ده موت ها يبقى قليل القيمة جدا.

ـــــ: لا حول ولا قوة إلا بالله.

ـــــ: أوه يا مامي.. طب يستنوا شوية لما أتجوز.

ـــــ: قل لن يصيبنا إلا مـا كتـب الله لنـا. صـدق الله العظيم.

ـــــ: طوبى لنا.. سندخل الملكوت لأننا عالم رابع.

(يتوقف الكادر)

الكورس: المكان يبدل أحلامنا.

ويبدل زواره.

فجأة.. لم نعد قادرين على السخرية

فالمكان معد لكي يستضيف الهباء.

هنا في المساء الأخير.

نتملى الجبال المحيطة بالغيم

فتح وفتح مضاد

وزمان قديم يسلم هذا الزمان الجديد

مفاتيح أبوابنا.

فادخلوا أيها الفاتحون منازلنا

واشربوا خمرنا من موشحنا السهل.

(إظلام)

اللوحة الثانية

(المسرح عبارة عن بقع ضوئية.. في كـل بقعة اكسسوار وموتيفات تعبر عن المكان)

(بقعة ١ منزل فخم)

الزوج: قولي للشغالة النيلة.. تجهز الشنط علشان نغور مـن هنا حالا.. الأولاد لازم يغيروا هدومهم بسرعة.. ما فيش وقت.

الزوجة: إيه؟ حصل إيه؟

الزوج: حصل إيه؟ أنت مش دريانة بحاجة بقى.

(بقعة ٢ غرزة)

شخص ١: باقولك كارثة.. كارثة والله يا طلعت.

شخص ٢: أنا مش طلعت.. أنا خليل يا جدع.. أنـا بقـالي ستين سنة عايش في الحياة الشرك دي وعمري مـا سمعت كلام فارغ زي ده أبدا.

شخص ١: أنا بقى مش عارف حصل إيه علشان يعملـوا ده كله.. ما احنا طيبين وكويسين وحبينا السلام أهو.

شخص ٢: يظهر الزمان أتغير.

شخص ١: احنا بأيدينا إيه نعمله وما عملنهوش؟

شخص ٢: الواحد من ساعة ما سمع الكلام ده.. وهو مـش عارف يتلم على نفسه. العب.

(يرمي الزهر على الطاولة)

(بقعة ٣ في حديقة)

(الشاب يحاول اغتصاب فتاته)

الفتاة: أنت بتعمل إيه؟ أنا مش مصدقة نفسي.

الشـاب: أنت مش عايزة تستوعبيني ليه؟.. ده أنا بحبك.. أنا حتى حنين قوي.

الفتاة: أنت حيوان.

الشاب: طبعا.. ما هو الإنسان حيوان ناطق.. وأنا نطقت.

الفتاة: إحنا في إيه ولا في إيه؟

الشاب: يا ستي ما تخافيش دي إشاعة.. صدقيني إشـاعة.. تعالي بقى قبل ما انفجر.

(بقعة ٤ منزل متوسط)

(الابنة الصغيرة تذهب لأبيها في رعب)

الابنة: قنابل ذرية يعني إيه يا بابا؟

الأب: حاجات حديد كبيرة مليانة مواد كيماوية.. أول ما تنزل على البيوت والناس تحرقهم.

الابنة: ولما ها يحدفوها.. ها تيجي لغاية عندنا؟

الأب: أيوه.. ها تيجي لغاية بلدنا وتولعها وإذا ربنا ستر وما ولعناش ها نتشوه ونتخنق.. ونموت فطـيس.. ولاد الكلاب نسيوا هيروشيما.

الابنة: هيروشيما مين؟

الأب: حقل تجاربهم القديم في اليابان.

الابنة: تجارب مين يا بابا؟

الأب: الكلاب.

الابنة: مين؟

(بقعة ١)

الزوجة: يوووه.. المفروض أنك تفهمني.. ما توترنيش.

الزوج: أنت ما شوفتيش حاجة مش طبيعية في التليفزيون؟

الزوجة: هو فيه حاجة طبيعية في التليفزيون؟

الزوج: ما سمعتيش راديو؟

الزوجة: ولا راديو

(بقعة ٢)

شخص ١: أنا بأقول يمكن تكون إشاعة.. مساء الخير.

شخص ٢: مساء الفل... إشـاعة وهـاتيجي فـي الراديـو والتليفزيون والجرايد كمان؟

شخص ١: أمال هاتيجي فين؟.. يا راجل قول كلام غيـر ده والعب.

شخص ٢: الله.. العب ولا أشد؟.. أنت حيرتني.

شخص ١: ما فيش قدامنا غير أننا نتوضى ونصلي ونتوب.

(بقعة ٣)

الشاب: لازم ناخد حقنا قبل ما نموت.

الفتاة: أنا ماشية.

الشاب: البيوت حيطان والأوغاد ها يـدمروها. ومـا فـيش أوسع من حضني، هاتي بوسة من الخد ده بس.

الفتاة: أنا ماشية.

الشاب: أنا باختبرك يا عبيطة.

الفتاة: تقوم تقولي هاتي بوسة من الخد ده؟

الشاب: خلاص ما تزعليش.. هاتي بوسة من الخد التاني.

(بقعة ٤)

الابنة: أنا خايفة يا بابا.

الأب: **(منفصلا مع نفسه)** ما كانشي لازم يطمنـولهم علـى الآخر كده.. ويهدوا الخنادق ويسلموا.

الابنة: أنا خايفة يا بابا.

الأب: وادي النتيجة.. حياتنا مهددة ومش عارفين نعيش بس.

الابنة: أنا خايفة يا بابا.

(بقعة ٢)

شخص ٢: يا سيدي ما تخافش.. إحنا لازم نرجـع لربنـا. الواحد ما بقاش مطمن على روحه.

شخص ١: أنت بتقرص الزهر وبتشد نفس زيادة وأنا اللـي دافع تمن الحشيش.

شخص ٢: ما أنت سارق العشرة اللي فاتت وأنا مصهين.

(بقعة ١)

الزوجة: موضة جديدة ولا مكياج؟

الزوج: موضة جديدة ولا مكياج؟

الزوجة: ما فيش غير كده.

الزوج: هو ده بس اللي يهمك؟

الزوجة: يوووه.. كنت نايمة.

الزوج: نيمونا كلنا بعد ما متعوا ودانّا بالكلام الحنين عن الإنسانية.. وبعد ما اطمنّا وعملنا اللي عملناه.. عايزين ينسفوا العالم.. عايزين يفجروه.

(بقعة ٣)

الشاب: أنانية.. خلاص.. من اللحظة دي أنا من طريق وأنت من طريق.. الوداع.

(بقعة ١)

الزوجة: لأ.. مستحيل يولعوا العالم.. أنت بتخرف.

الزوج: العالم الرابع ها يبقى في خبر كان يا مدام.

(بقعة ٤)

الابنة: أنا خايفة يا بابا.

الأب: ولا نقدر نستخبى ورا الشجر.. لأن ما عـادش فيـه شجر.

الابنة: يعني إيه شجر يا بابا؟

الأب: القوة لما تبقى في إيد واحد بس.. يبقـى لازم نعـيش مكسورين.

الابنة: نقفل الشبابيك ونزل الستاير ونطفي النور.. ما حدش ها يشوفنا.. صح يا بابا؟ صح؟ حد ها يشوفنا؟

(بقعة ٢)

شخص ١: أنا شايفك بتخبي الحشيش في جيبك.. مش عيب عليك تسرق في آخر أيامك؟ هات **(يأخذها منه)**

شخص ٢: باقولك ايه.. أنت بتهددني؟ أنا ممكـن أشـرحك دلوقت (يضربه في وجهه)

(بقعة ٣)

الفتاة: أي.

الشاب: أي إيه أنا اللي أي أي خالص.. أي قوي.

الفتاة: أنت سافل وقليل الأدب.. أنا لازم أمشي حالا من هنا.

(بقعة ١)

الزوج: ياللا بسرعة.. عبي كل حاجاتنا وحاجات الأولاد في الشنط.. عبي الفلوس لازم نخرج من هنا بســرعة.. لازم نروح العالم الأول.

(هرج وارتطام بالأثاث وحركة صاخبة في كل البقع ويحدث تداخل بين كل البقع والانتقال سريع على مستوى الإضاءة حتى يصبح الصخب غير محتمل)

الأب: لازم ندفن راسنا في الرمل زي النعام.. زي كل مرة.

الابنة: نقفل الشبابيك ونزل الستاير ونطفي النور.

شخص ١: تسرق في آخر أيامك؟

شخص ٢: ما فيش قدامنا غير أننا نتوضى ونصلي ونتوب.

الزوج: العالم الرابع ها يبقى في خبر كان يا مدام.

الزوجة: إف بقى.. أنا زهقت.

الشاب: اديني بوسة بقى.. اديني بوسة.

الفتاة: إحنا في إيه ولا في إيه؟

(يدخل الكورس فيتوق الكادر)

الكورس: كيف أكتب فوق السحاب وصية أهلي؟

وأهلي يتركون الزمان كما يتركون
معاطفهم في البيوت
وأهلي كلما شيدوا قلعة هدموها
لكي يرفعوا فوقها خيمة للحنين إلى أول النخل
أهلي يخونون أهلي في حروب الدفاع
عن الملح

(إظلام)

اللوحة الثالثة

(المسرح مقسم إلى ثلاثة مستويات، في المستوى الأعلى العالم الأول يعيش عربدته، بعد لحظات تحدث ضوضاء وغوغائية ثم يدخل بعض مسئولي العالم الرابع، يحاولون الصعود إلى المستوى الأعلى فيواجههم العالم الأول بالازدراء فيهبطون وعلى وجههم غضب واستنكار، تلفهم لحظات من الحيرة فيقررون أخيرا الاجتماع ببعضهم البعض، يعقد اجتماع تعبيري في المستوى الأوسط، يمر بعض الوقت في العبث، بعده يكون قد تقرر المصير يذاع الخبر، تنتشر الأفراح والأغنيات، ويقَبلُ كل منهم الآخر، تنسحب الإضاءة من المستوى الثاني أو تخفت بينما التليفزيونيون قد أهلوا بمعداتهم ليسجلوا وقائع اتفاق العالم الرابع، يعلو الصخب والضجيج والبيانات الحماسية دون ظهور صوت، صمت فجائي ثم نستمع إلى إشارات ضبط الوقت ويظهر المذيع)

المذيع: أعلنت إشارات ضبط الوقت عـن السـاعة الثانيـة عشرة إلا الربع.. ربع ساعة وننتهي جميعا من العالم كله.

المذيعة: ها نحن أيها السادة فـي البهـو الخـارجي لقاعـة الاجتماعات الرئيسية.. القاعة التي شـهدت أعظـم الاجتماعات المصيرية في تاريخ العالم الرابـع لقـد كان الحكماء مجتمعين على مدى ربع ساعة كاملـة لمناقشة مستقبلنا الجمعي المهدد، وها نحـن نقتـرب رويدا رويدا منهم لنستجلي حقائق الأمور.. ونعرف ما خفي من أمرنا.

(يقتربون من المذيعة على شكل طوفان بشري يغطيها، تعلو الضوضاء تخرج المذيعة من بينهم وتنفض ملابسها في تأفف واضح)

المذيعة: أهلا وسهلا بيكم في برنامج اللحظة الأخيرة.

مسئول ١: أهلا وسهلا.

مسئول ٢: هلا بالعيون العسلية.

مسئول ٣: السود مش العسلية.

مسئول ٤: ما هي خضرة قدامك أهي.

المذيعة: **(تقاطعهم)** ممكن تسمحوا لي بـدقيقتين بـس مـن وقتكم؟

مسئول ١: ودقيقتين ها يكفوا إيه ولا إيه؟

مسئول ٢: يكفوا يا شيخ.. والله يكفوا.

مسئول ١: أنت شايف كده؟

مسئول ٢: أيوه أمال.

مسئول ١: أنا بقى شايف عكسك.

مسئول ٣: استهدوا بالله يا جماعة.. يكفوا يا ست يكفوا.

مسئول ٤: بس بلاش الأسئلة المحرجة اللي تخلي شكلنا مش ولا بد قدام الشعب.

المذيعة: مش محرجة أبدا يا فندم.

مسئول ٤: أبدا؟

المذيعة: أبدا. أنا كنت عايزة استفسر من سيادتكم عن نتـائج الاجتماعات الأخيرة اللي حصـلت فـي اللحظـات الأخيرة.

مسئول ٢: احنا اتفقنا.

مسئول ٣: اوعى كده يا أخي.. احنا اتفقنا فعلا علـى كـل حاجة.

مسئول ١: يا أخي ما تزقهوش كده.

مسئول ٤: أنا أقولك.. احنا اتفقنا.. والله العظيم اتفقنا أخيرا.

المذيعة: الحمد لله.. ده ما حصلش قبل كـده أبـدا.. مـش معقول.. ده إنجاز عظيم.

مسئول ١: شيء خيالي.. مش كده؟

المذيعة: فنتازيا.. **(تقبلهم جميعا في شكل هستيري)**

مسئول ١: احنا ما بنبالغش.. احنا اتفقنا من غير ضغط من أي حد.. وبأقولها بعلو صوتي.

المذيعة: والاتفاق انتهى على خير طبعا.

مسئول ٢: طبعا.. طبعا.

مسئول ١: لكن اسمحي لي أتكلم شوية في الميكرفـون مـا دمنا على الهوا والعالم كله سامعنا.. أنا عايز أوضح بعض الأسرار الخفية.

مسئول ٣: وطبعا احنا نتمنى أن صدر البرنامج الجميـل.. ووقته يسمح بتوضيحها.

المذيعة: اتفضل يا فندم.. لكن أرجو أنه يكون في الاعتبـار أن وقت البرنامج ممكن يسمح.. لكن وقـت العـالم الرابع مشكوك في أمره.

مسئول ٤: ده ما بقاش مشكوك في أمره.. ده أكيـد.. لكـن اللي أنا عايز أقوله.

مسئول ١: اتكلم بصيغة الجمـع وبـلاش أنانيـة وفرديـة وشوفينية.

مسئول ٤: لا مؤاخذة.. البيان اللي احنا سمعناه مـن العـالم الأول.. اللي مقصود بيه العالم الرابع ذات نفسه.

مسئول١: واحنا اتفقنا مع بعضينا على حقيقة ناصعة نصاعة الشمس العبقرية الأصيلة. شمس بلدنا.. ألا وهـي.. إذا كانت الشرعية الدولية قررت كده بالفعل فاحنـا **(لمسئول ٢)** كمل انت بقى.

مسئول ٢: لأ قول انت.. أنا سـايبلك الشـرف ده تتـولاه لوحدك.

مسئول ٣: أنت خايف ولا إيه؟

مسئول ٢: أنتوا اللي خايفين.

مسئول ٣: واحنا نخاف من إيه.. هي أمريكا اللي بترزقنا.. فاحنا طبعا.. مع.. الشرعية الدولية... هه.

مسئول ٤: خصوصا إن احنا مش عالم رابع.

المذيعة: نعم؟ أنا مش فاهمة حاجة.. ممكن توضحوا شوية؟

مسئول ٣: دعينا نعترف أولا أن العالم الرابع.. عالم منقسم على نفسه..

المذيعة: بمعنى؟

مسئول ١: بمعنى أنه يضم إلى جانب غالبيته العظمى المتخلفة..

المذيعة: (مصححة) النامية النامية.. احنا على الهواء.

مسئول ١: ده مصطلح مؤدب اخترعه الغرب المؤدب.. لكنه مصطلح مطاط.. ومزيف أيضا. ومع ذلك ما تزعليش نفسك.. أنت زي القمر وتنفعي عالم أول يا فندم.

مسئول ٢: **(يكمل بينما مسئول ١ مستمر في الغزل الصامت)** المهم أن العالم ده بيضم إلى جانب غالبيته

العظمى النامية.. فئة أخرى.. اتعلمت في مـدارس العالم الأول.

مسئول ١: واتخرجت من جامعات العالم الأول.

مسئول ٣: ونالت أكبر المؤهلات العلمية مـن أكاديميـات العالم الأول.

مسئول ٤: يبقى إزاي بعد كده تفتكروا وتصدقوا أن الفئة دي اللي هي احنا.. نعتبر ضمن العالم الرابع اللي هـو أنتم؟

المذيعـة : شكرا يا فندم **(وهي تكتم غيظها)**

مسئول ١: لا شكر على واجب.

مسئول ٢: ايوه والله لا شكر على واجب.

مسئول ٣: طبعا لا شكر على واجب.

مسئول ٤: لكن احنا طلبنا مهلة لتأجيل القرار كام ساعة كده على ما نجهز روحنا.

المذيعة: نأجل القرار بس.. مش نلغيه؟

مسئول ٤: ونلغيه ليه؟

مسئول ٢: على ما نصرف ونسترد فلوسـنا مـن البنـوك الوطنية للأسف.

مسئول ٣: ونتصرف في الأرض.

المذيعة: الأرض؟

مسئول ٢: أيوه.. أرض الوطن الحبيب.

مسئول ١: والعقارات الحبيبة... نبيعها.

مسئول ٤: والشوارع الحبيبة.. نبيعها.

مسئول ١: وشعبنا الحبيب.. برضه نبيعه.

المذيعـة: نبيعه؟ نبيعه فين؟

مسئول ٢: نبيعه هناك (بتدارك) هنا في الوطن الحبيب دهو.

المذيعـة : أنا لي سؤال أخير.

مسئول ١: معذرة احنا لينا بس نداء صغير عايزين ننتهـز الفرصة ونوجهه من التليفزيون.

(يتجهون نحو المستوى الأول العلوي ووجوههم خاشعة)

أبانا الذي في العالم الأول.. نحن رعاياك.. باق لـك الجبروت.

وباق لنا الملكوت.. وباق لمن تحرس الرهبوت..

تفردت وحدك باليسر.

إن اليمين لفي خسر، أما اليسار ففي عسر إلا الـذين يعيشون..

يحشون بالصحف المشتراة العيون فيعشون،

وإلا الذين يوشون ياقات قمصانهم برباط السكوت.

تعاليت.. ماذا يهمك ممن يـذمك.. اليـوم يومـك.. والعرش يصبح سجنا جديدا وأنت مكانك..

قد يتبدل رسمك واسمك.. لكـن جـوهرك الفـرد لا يتحول.

أبانا الذي في العالم الأول.. باق لك الجبروت.. وباق لنا الملكوت.. وباق لمن تحرس الرهبوت.

(يمسحون على وجههم بينما تخفت الإضاءة)

(إظلام)

اللوحة الرابعة

(المسرح خال إلا من صحراء قاحلة. على حدود العالم الرابع، أصوات ريح وعواصف، سماء ملبدة بالغيم الأسود، ضجيج وصخب، تشقها خطوات تقترب وتدب على الأرض بعنف، لحظات ويزدحم المسرح بحاملي الحقائب الضخمة وهم يرتدون الأسمال شبه العارية وبينهم يسير المتأنقون لابسين بذلاتهم الأنيقة ويقتربون من الحدود، تهبط المذيعة والمصورون من أعلى المسرح فيرتَدون للخلف)

المذيعة: وبعد أن انتقلت كاميراتنا أيها السادة إلى أرض الواقع فإننا نرى فئة من الناس قد أجهزت على جميع المشاعر الوطنية بينما الغالبية العظمى من العالم الرابع هنا وهناك فزعين من هول وبشاعة الخبر.. إنها أيها السادة تلك الفئة الصابرة المناضلة.. ومنهم من لا يملك تذكرة السفر إلى أدغال العالم الأول..

ليس إلا.. ونحن نقف الآن على حدود البلاد يسـرنا أن نلتقي المواطنين المستعدين للفرار. مساء الخير.

مواطن ١: أهلا وسهلا.

المذيعة: أنا شايفة حضرتك والعائلة الكريمة علـى سـفر.. على فين العزم؟

مواطن ١: لأ.. ما فيش مكان محدد.. لكن في الواقع إحنـا رايحين أي دولة من دول العالم الأول والسلام

المذيعة: ومستعجل ليه حضرتك؟ مع أن فيـه وقـت لحـل المشكلة.

مواطن ٢: احنا في عصر السرعة بالتأكيد.. والعالم الأول ده عالم متقدم ولما بيفكر يعمل حاجـة بيعملهـا علـى طول.. مش زيكم لأ.. لا بيحتـرم حـد ولا بتهمـه حاجة.. بيحترم نفسه بس..

المذيعـة : وده يخليكم تهاجروا رغم إمكانية الحل؟

مواطن ٣: يا روح ما بعدك روح.

المذيعـة : والوطن؟

مواطن ٤: أنهو وطن؟

المذيعـة : وطنا.

مواطن ٥: آه.. إحنا وطنيين جدا..

مواطن ٤: وبنحب وطنّا قوي.

مواطن ٣: **(يهتف)** بالروح والدم

الجميـع : نفديك يا وطن.

مواطن ٣: **(يهتف)** وطنا وطنا يا بلاش.

الجميـع : أوطان تانية ما نقبلهاش.

مواطن ٢: لكن في الوقت ده بالذات ما فيش بأيـدينا حاجـة نعملها.

المذيعـة : والهتافات دي؟

مواطن ٢: دي شعارات يا مدام.. دلوقتي لازم ندافع عـن أرواحنا.. مش أوطاننا..

مواطن ١: واللي يقول غير كده.. قولي له أنت كـداب فـي أصل وشك..

المذيعـة : شكرا يا سادة على الحوار.. على كـل شـيء. ودلوقت تحبوا تسمعوا إيـه فـي برنـامج اللحظـة الأخيرة؟

مواطن ١: ردني إلى بلادي.

(ينطلق صوت فيروز بالأغنية في خلفية المشهد

حيث يكون صوت الأغنية أقل من صوت الكورس)

الكورس: ها هم الحكماء يفرون نحو السفينة.

المغنون، سائس خيل الأمير.. المرابون

قاضي القضاة، ومملوكه، راقصة المعبد ابتهجت

عندما انتشلت شعرها المستعار.

جباة الضرائب، مستوردو شحنات السلاح.

عشيق الأميرة في سمته الأنثوي الصبوح.

جاء طوفان نوح.

ها هم الجبناء يفرون نحو السفينة.

طوبى لمن طعموا خبزه في الزمان الحسن

وأداروا له الظهر يوم المحن.

(لحظة صمت، بعدها يتجمع لابسو الأسمال

الفقيرة، البعض يضع المتاريس على الحدود،

البعض الآخر يقوم بالزراعة والعمل في البناء

تتداخل الحركات التعبيرية مع موسيقى، تداخل الكورس مستمر طوال هذا المشهد)

الكورس: للحقيقة وجهان.. والثلج أسود فوق مدينتنا.

لم نعد قادرين على اليأس أكثر مما يئسنا.

من سينزل أعلامنا.. نحن أم هم؟

كل شيء معد لنا سلفا

من سينزع أسماءنا عن هويتنا؟.. أنت أم هم؟

للحقيقة وجهان، كان الشعار المقدس سيفا لنا وعلينا.

فماذا فعلت بقلعتنا قبل هذا النهار؟

لم تقاتل لأنك تخشى الشهادة.

لكن عرشك نعشك.. فاحمل النعش كي تحفظ العرش.

من سيدفن أيامنا بعدنا.. أنت أم هم؟

ومن سوف يرفع راياتهم فوق أسوارنا؟

أنت أم فارس يائس؟

من يعلق أجراسهم فوق رحلتنا

أنت أم حارس بائس؟. كل شيء معد لنا.

فلماذا تطيل التفاوض يا ملك الاحتضار؟

لم تقاتل لأنك تخشى الشهادة.

لكن عرشك نعشك.

فاحمل النعش كي تحفظ العرش.

(إظلام)

اللوحة الخامسة

(العالم الأول مجتمع في المستوى الأعلى، الحوار باللغة العربيـة الفصـحى، يمكـن أن تتداخل عدة لغات أجنبية)

العضو الأول: أنا بصفتي رئيس جمعيـة الرفـق بـالحيوان العالمية.. أرفض هذا القرار رفضا تامـا.. إن الحيوانات في العالم الرابع ثروة لا تقدر بمال.. إن إبادتها أيها السادة يضر بالأبحاث العلميـة.. بل سيوقفها تماما.

العضو الثاني: والأشجار.. لا تنس الأشجار أيضا أيها السيد العزيز.. إن في إبادتها إبادة للحياة على وجـه المعمورة كلها.. هناك طرق أخـرى لمقاومـة التخلف الإنساني في هذا العالم المدعو بالـ ـ.. بالماذا؟

عضو أمريكا: العالم المتخلف أيها السيد العزيز.. الرابع.

العضو الثالث: أنا معكم إنه يجوز تسميته بالعـالم العاشـر أيضا.. ولكن دعونا نلقي نظرة متفحصة علـى ما سوف يحدث للتوازن الطبيعي في البيئة.

العضو الرابع: أنسيتم الأرض وما تحويه في باطنهـا مـن نفائس تهمنا جميعا؟ ألم تفكروا ولـو للحظـة واحدة فيما سيحدث لنا جميعا لو أننا وافقنا على هذا القرار؟ لكن دعونا نتحدث بصدق أكثـر.. للإنسان في العالم الرابع طرق أخرى لإبادتـه إن في حفاظنا على تخلفه إبادة له.

عضو أمريكا: اسمحوا لي أن أعترض على كل هذه الحجـج الواهيـة... إن ذلـك يجـر علينـا الخـراب المستعجل.. عالم عاطل.. لا تكفيه المعونـات ولا القروض ولا أي شيء.. ومع ذلك يطالـب بحريته.. أي حرية تلك التي يريد أن تأتيه وهو في سرير نومه؟ إن في بقاء هذا العـالم أيهـا السادة خرقا للطبيعة نفسها.. واستهزاء بفلسـفة العظيم نيتشه.

العضو الرابع: لا تنس يا سيدي أن اقتصاد عالمنا في معظمه قائم على مدخرات وأموال العالم الرابع.

عضو أمريكا: إنها إهانة واضحة.. فيتو.

العضو الرابع: دعني أوضح وجهة نظري أولا ثم اعترض.. إن العالم الرابع حامل أموال الـنفط يسـتورد جميع منتجاتنا من الإبرة حتى الصاروخ.. كما أنهم هنا في عالمنـا زبـائن دائمـون لبيـوت الدعارة والمواخير.. وإذا لم يكن يا سادتي عالم متخاف في المنطقة.. فخمنوا كم فتاة ليل فـي عالمنا ستبقى بلا طعام ولا سرير للنوم تفترشه في نهارها؟

(ضجيج في القاعة)

العضو الأول: هل تريـدون بهـذا القـرار.. إبـادة جميـع الخراتيت؟ أنتم لا تعرفون فوائدها إذن.

العضو الثاني: وأذكركم أيضا بأهمية الأسماك.. إن الخلـيج فقط لا تقدر ثروته بالمال.. لما فيه من حيوانات بحرية ليس لها شبيه فـي أي مـن محيطـات العالم.. إن الثروة السمكية أيها السادة...

العضو الرابع: والنفطية.. والنفطية.

العضو الثاني: السمكية والنفطية لا تقدر بثمن.

الرئيس: إذن نستطيع الآن أن نصوت على القرار.

(أصوات نادبة ونواح من المستوى السفلي)

الغالبية العظمى لا توافق.

عضو أمريكا: (منفجرا) اشرحوا لنا إذن طرقا أخرى للقضاء على هذا التخلف الوبائي دون أن نعترض على معارضتكم بمعارضتنا.

(تتداخل الأصوات على نحو نستطيع معه تبين شذرات من الجمل)

العضو الأول: نمنع تصدير القمح.

(تظهر قوى من بينهم تخطف الخبز من أيـ دي الناس في المستوى السفلي)

العضو الثاني: ونزرع شتى الفتن.. ونصدر العنف.

(تظهر من بينهم جماعات عنف تفجر وتقتل من هم في المستوى السفلي)

العضو الثالث: نصدر كل موانع الإنجاب.

(يلقون نحو المستوى السفلي بعض مستلزمات منع الإنجاب)

العضو الرابع: ونلقي عليهم بنفاياتنا النووية.

(يلقون على الجزء السـفلي بعـض النفايـات النووية، بعد لحظة نسمع صوتا رخيما شيطانيا يخترق الجميع)

الصوت: وبذلك يصبح العالم الرابع يا سادة.. عالما عاشرا لا يضيرنا وجوده.

(تتداخل أصوات الموافقة والحمـاس ويعلـو الصخب والموسيقى والرقص)

(إظلام)

اللوحة السادسة

(الصحراء شاسعة، مواطنو العالم الرابع يزرعون المتاريس على الحدود ويمارسون البناء والعمل على أنغام الموسيقى المعبرة عن الفرح والأغنيات السعيدة بالقرار الجديد، يستمر العمل في لوحات تعبيرية بضع دقائق بعدها يسود الصمت لتنطلق إشارات ضبط الوقت)

المذيع: أعلنت إشارات ضبط الوقت الساعة الثانية عشرة تماما.. لا نصف ساعة ولا يحزنون ولن ننتهي من العالم.

(تعود الأغنيات في صوت عال حتى تظهر المذيعة فيخفت الصوت)

المذيعة: أما وقد أعلن على الملأ الآن رفض مجلس إدارة العالم الأول التصديق على قرار إبادة العالم الرابع وذلك لأهميته الشديدة كما جاء في حيثيات الرفض فلا يسعنا إلا أن نهنئ أنفسنا ونهنئ شعبنا الصابر العنيد على النجاة.. شعوبنا التي ابتدأت العمل على قدم وساق ورفضوا الهروب والقرار.. شعوبنا التي

اعتمدت على نفسها دونما حاجة لأي من دول العالم الأول ولا رعاياه.. ولا المتمسحين به.

(ضجيج وأصوات طائرات تقترب.. وصخب العائدين إلى العالم الرابع بحقائبهم وأشيائهم، فيتصدى لهم مواطنو العالم الرابع المتشبث بالوطن)

أيها السادة والسيدات إننا نرصد الآن معركة ضـارية تجري على الحدود تماما.. بين الذين ظلوا متشـبثين بالوطن وبين المهاجرين الذين غـادروا ونزحـوا.. بعدما اطمأنوا على أرواحهم. إن المهرجين أيها السادة يحاولون تهشيم المتاريس التي صنعت في أثر القرار الهمجي.. لكن فلول العالم الرابع التي استيقظت مـن سباتها العميق تتصدى لهم بحسم وشدة.. إنها معركـة حامية الوطيس لا يعلم مداها.. إلا الله.

الكورس: عرشك نعشك.. فاحمل النعش كي تحفظ العرش.

(يزداد صخب الحرب ويستمر صوت الكورس وتعلو الموسيقى.. والحرب ما زالت دائرة وتزداد اشتعالا)

(إظلام)

الفاس في الراس

القصة المؤسفة للرأس الذي انفجر ذات يوم
ولم يكن أحد بالعالم

كلمة أولى

نحن نشاهد.. نحن لا نفعل شيئا

وها هو رأس ينفجر..

ورءوس تطل

اللوحة الأولى

(حجرة لكل شيء تعمها الفوضـى، ذات فتحات متعددة من جميع الجهات، باب للخروج والدخول في المنتصف تماما، هذه الحجرة هي مكان أساسي ودائم لجميع اللوحات التاليـة، لا تختلف إلا من حيث الأثاث الموضوع فيها).

(توجد أرفف عديدة للكتب في أماكن عدة)

(المكان مظلم تماما، صوت انفجار مروع يتـزامن مع ارتماء جسد مهشم الرأس وبعض أشـلاء الـرأس تتناثر بعيدا.. يتزامن هذا مع ظهـور حشـد الـرءوس البشرية التي ترتسم على وجوهها بلاهة وجمود خـلال الفتحات في حوائط الحجرة، تسقط على المسرح وعلى الوجوه إضاءة حمراء قانية، برهة مـن الصـمت، الأم تخترق هذا الحشد المتراكم أيضـا عنـد البـاب مـن الرءوس، متشحة بالسواد ووجهها مكسـو بالشـحوب الشديد. تحتضن الأم جسد الفتى وهي تبكي، تتمرغ في أشلاء الرأس حينا وحينا تحتضن الجسد وتبدأ العديد).

الأم: ما دام نويت تخد الخلق في إيدك

أمك حزينة ومين يغنـ ـي اك

ما دام نويت تخد الخلق مصرور

تخد اك عروسة من بنات الحور

ما دام نويت تخد الخلق وياك

تخد اك عروسة من بنات هناك

(الرءوس المحتشدة عند الباب في الفتحات ترتسـم على وجوههم ثمة تعبيرات ساخرة شامتة بعد برهة تمتلئ الحجرة بالمحققين، يلتفون حول الأم وهـي تحتضن جسد الفتى بينما تبدأ الرءوس في التلاشي الواحد تلو الآخر. وتسطع الإضاءة)

المحقق: كنت فين وقت وقوع الحادث؟

الأم: الموت؟ في السوق يا بيه.. باشتري أكل النهارده وبكرة وبقية الشهر.

المحقق: المجني عليه.. كان مريض؟

الأم: يعني إيه يا بيه؟

المحقق: يعني كان عيان؟

الأم: لأ.. بس كان تعبان **(تعدد)**

ما تشد حيلك يتعدل وحدك

دي الملفحة وقعت أهي جنبك.

المحقق: كان بيشتكي من إيه؟

الأم: من كل حاجة.

المحقق: كل حاجة يعني إيه؟

الأم: ما كانش عارف يعيش.. قال لي يا مه.. أنا مش عارف أعيش خلاص.. ما عدتش قادر.. وسحت الدموع من عينيه.. حمرا دم... ما كنتش عارفة أعمل إيه قلـت ربنا يفرجها.. يعدلها لا فرجها ولا حاجـة اتعـدلت **(تعدد)**

ما تشد حيلك يتعدل وحديك

دي الملفحة أهي وقعت جنبيك.

المحقق: بس ده كفر.

الأم: صح يا بيه.. العيشة كفر.

المحقق: اللي أنت بتقوليه هو اللي كفر.

الأم: ربنا ها يسامحني عارف ضمير عباده وعالم باللي فيه.

المحقق: حد كان بيجيله باستمرار؟

الأم: آه.

المحقق: مين؟

الأم: أبوه.

المحقق: أبوه؟

الأم: كان بيجيله في الكوابيس يوماتي.

المحقق: إحنا ما لناش دعوة بالكوابيس.

الأم: الحياة كلها بقت كوابيس.. بس ساعات كانت بيصحى مخضوض... غرقان عرق يصرخ من الخوف والضيقة وكتمة النفس.

المحقق: كان بيشرب؟

الأم: كان دايما عطشان.

المحقق: خمرة؟

الأم: **(تخبط على صدرها)** حد الله.

المحقق: كان بيدخن حشيش؟

الأم: سجاير بس.. ما تظلموش.

المحقق: كتير؟

الأم: قوي.

المحقق: نوعها إيه؟

الأم: فرط يا بيه.. نوعها فرط.

المحقق: ابنك كان بيشتغل؟

الأم: في الحكومة... الماهية ما كانتش بتكفي شربة المية ولا رغيف العيش.

المحقق: وأنت كان رأيك إيه؟

الأم: أنا ما دخلتش مدارس.. ما بقراش ولا أعرفش.

المحقق: كنت بتحبيه؟

الأم: الضنا غالي يا بيه.

المحقق: كان عنده كام سنة؟

الأم: ولدته يوم جمعة.. الساعة تمانية.

المحقق: كان متجوز؟

(يعلو صوت الأم بالعديد بينما الكورس يطل من خلال الفتحات)

الأم: ما دام نويت خد الخلق وياك

خداك عروسة من بنات هناك

ما دام نويت خد الخلق مصرور

خداك عروسة من بنات الحور

المحقق: كان بيحب الحياة؟

الأم: **(صمت)**

المحقق: كان بيكرهها؟

الأم: **(صمت)**

المحقق: عندك أقوال تانية؟

الأم: **(تعدد)** اعملوا قبر المليح مليح

شباك من غربه يجيب له ريح

اعملوا قبر المليح زيه

شباك من غربه لملقى أمه

الكورس: **(يردد العديد بطريقة الريستاتيف وعلى وجـوههم ثمة ابتسامة ساخرة)**

(تخفت الأصوات مع خفوت الإضاءة ثم يحدث)

(إظلام)

اللوحة الثانية

(كافيتيريا في ساحة المطـار.. الفتـى والفتاة في أحد الأركان)

الفتى: تجربة مفيدة.. سافري.

الفتاة: استناني.. هاتستناني؟

الفتى: الفلوس هاتغيرك.

الفتاة: بلاش كلام الأفلام العربي الخايبة دي.

الفتى: هانشوف.

الفتاة: هانشوف إيه؟ أنت مجنون.

الفتى: **(يمد كفه)** عاهديني.

الفتاة: **(ترمقه بنظرة ساخرة)**

الفتى: عاهديني.

الفتاة: **(لا تمد يدها ونظرتها أكثر سخرية)**

الفتى: إيه؟

الفتاة: مش واثق في؟

الفتى: العهود بتطمني.

الفتاة: لازم تطمن من غير عهود.

الفتى: تفتكري؟

الفتاة: الفلوس ما تقدرش تنسينا أحلام فضلنا العمر نحلمها.. وأماني حاربنا حتى أهالينا علشان نحققها.

(يخلع سلسلة من عنقه ويهديها لها وعلى وجهـه ابتسامة)

الفتاة: ادتني حاجات كتير قوي.

الفتى: لو أقدر.. أديلك عمري.

(صوت مذيعة المطار تعلن قيام الطائرة. يودعـان بعضهما في عناق بينما الفتى تحت بقعة ضوء)

الفتى: خذي جميع أشيائي.

خذي جميع جميع أشيائي.

خذي دمي

وهذا الشهيق الداخل رئتي

خذي أحلامي كلها لك

وامتزجي بي.

فما دمت يا حبيبتي في..

فلم يضع أي شيء ولا أي شيء.

(الطائرة تبتعد والضوء يخفت حتى)

(إظلام)

اللوحة الثالثة

(نفس الحجرة في اللوحة الأولى لكنها منظمة نوعا ما)

الفتى: **(صوته الداخلي وهو في حالة من الانكسار)** ما فيش حاجة نافعة.. ما فيش حاجة بتحصل.. ما فيش غير الانكسار.. ركود عنيييف.. (يقذف كتابا كان يقرؤه) لا كتاب الإنسان بين الجوهر والمظهر ولا دواوين الشعر ولا كتب التاريخ.. تقدر تشبع الإنسان ولا تنور الطريق نحو الحقيقة الخالصة.

(يقذف الكتب جميعها من فوق الرفوف في ثورة عارمة) قبل انفجار الرأس يجب على الإنسان أن..

(يعلو صوت الغسالة بالخارج)

أمي.. وقفي الغسالة.

الأم: (تدخل مسرعة) مالك يا ضنايا؟

الفتى: **(ينظر لها في صمت)**

الأم: صوت الغسالة؟.. حاضر.. بس الأكـل هـا يشـيط ع الوابور.

الفتى: دماغي بركان نار.

(ينكمش فوق السرير ممسكا برأسه)

شباك الأودة مكسور.. أنا متلج وتعبان.

الأم: حاضر.. قلت لك كتير صلحه.. أنت ما بتردش علي.. بتسبني أهاتي.. أنا بابقى باموت وانا باستحمى فـي التشت في الأودة.. قلت لك صلحه.

(تغلق النافذة المكسورة في الحجرة)

الأم: حط حتة كرتونة ولا مسمر خشبة.

الفتى: مش عارف أقدر.

الفتى: **(يمسك رواية ويقرأ منها هذه الفقرة)**

لولا السجائر.. لاشتعل العالم بالحريق..

يجب على الإنسان أن يشعل شيئا ما.. أن

يحرق شيئا ما.

(يغلق الرواية ويشعل سيجارة، تمـر لحظـات مـن الصمت) فكرك اللي بيموت بيقدر يعذب اللي عذبوه قبل ما يموت.. يقدر يعملهم حاجة؟

الأم: **(تدخل مرة أخرى)** نعم؟

الفتى: المسألة دي متروكة لإرادتنا فعلا؟

الأم: مين؟

الفتى: أنا عايز أستفسر عن الموضوع ده بالذات.

الأم: بتكلمني يا ضنايا؟

الفتى: **(بحدة)** ما بكلمش حد.. باصـرخ فـي البريـة ولا مجيب.

الأم: ما لك يا ضنايا؟ أنا ما دخلـتش مـدارس.. **(صـمت)** امبارح ما لاقيتش خضار في السوق.. كله زبالـة.. النهاردة لقيت خضار والفلوس ما كفيـتش.. جبـت نص كيلو.

الفتى: سمعت أن ممكن روحي تحوم فوق البيـوت ووسـط الشوارع.. أقدر أطير وأنا عفريت أو شبح.. ابقـى زي توب القماش أو لفة السلب واخد بتاري.

الأم: **(وهي ترفع الكتب فوق الرفوف)** من مين؟

الفتى: من الخوف والفقر ومرض الروح.

الأم: أبوك من يوم ما مات وما حدش شـافه ولا سـمع لـه حس. **(تقترب منه)** ما لك يا ابني؟ إيه اللي صابك؟

الفتى: لازم آخد بتاري.. ولا فاكرة مش ها أقـدر زي كـل مرة؟

الأم: طول عمرك طيب وعمرك ما بتأذي حد.

الفتى: أنا مش المسيح.

الأم: سلامتك.

الفتى: ومش معقول ابقى منهك وأنا فـي القبـر جيفـة ولا الخنازير.. ابقى مخنوق من العفونة فوق وتحت.

الأم: استهدى بالله واستغفر ربنا.

الفتى: أنا مش باكفر.. أنا بابوح.

(يطفئ السيجارة بعنف وينكفئ على المنضدة)

الأم: **(تذهب إليه تربت على ظهره ثم تستكمل رفع الكتـب على الرفوف)** كتب.. كتب.. خدنا منها إيه غير وجع القلب ووجع العين؟.. وياما قلت لك لا احنا أد بتوع

الكتب ولا هما أدنا.. دكهم معاهم فلـوس علاجهـم.
اسكت، مش الجيران رموا على الغسيل ميه وسـخة
والعيال ولعوا نار في زبالة الشارع.. أنـا غلبـت..
الغسيل اتوسخ تاني.. من فوق ومن تحت.

الفتى: ولاد الكلاب.

الأم: الله يسامحهم بقى.

الفتى: ربنا مش لازم يسامح دول.

الأم: دي عيال صغيرة.

الفتى: اللي عذبوني.

(صمت)

الأم: استهدى بالله.. أختك ماتت دك النهار.. مـا قلـتلكش؟
عرفت بالصدفة وأنا في البلد، قالوا لي بنت جـوزك
ماتت واندفنت نواحينا.. جنب عمتك.. أختك الكبيرة
بقى لما زرتها قلت لها البقية في حياتك وعاتبتهـا..
قلت لها أنا زعلانـة، كـان لازم نحضـر الغسـل
والجنازة هي ما سابتش حاجة.. وقبل ما تموت كتبت
البيت باسم جوزها.. ما أنت عارف.. قلت لك ماتت
وهي بتخاف العيل.. العيل؟ برضـه مـات.. إيـه؟

مالك؟ أبوك كان قلبه حاسس. مـا كـانش عايزهـا تسافر وتتغرب.. قالت له: ما تخافش علي يـا بـا.. هنا غربة وهناك برضه غربة.

الفتى: كفاية.

الأم: نام يا حبيبي.. أنت بتروح الشغل وتيجي مهدود.. ربنا يعينك.. والعيشة.. الرايح مش أد اللي جـاي. كـل شهر سـاف سـاف.. زي التـاني. والـديون مـا بتخلصش.. اشتغل أي حاجة تانية يا ضنايا وشـيلك قرشين في البوستة.. مـا بقـاش فيـه لحمـة فـي الجمعيات.. بطلت يا ابني.

الفتى: **(يمسك رأسه)** كفاية.. كفاية بقى.. أنا تعبان.

الأم: **(بنفاد صبر)** هو أنا كل ما أقولك حاجة تسكتني؟.. ما أنا لازم اتكلم مع حد.. الجيران ما عادتش فاضـية تسمع بعضها.. ما ليش حد غيرك أكلمه.

الفتى: أنا عايز أنام.

الأم: إذا كنت تعبان قيراط.. أنا تعبانة أربعـة وعشـرين.. ولازم تسمعني.

الفتى: مش عايز أسمع حد.

الأم: طب سيبني أكلم نفسي.

الفتى: اتكلمي هناك.

الأم: هناك فين؟ كنا قاعدين في شقة تلات مطـارح بصـالة وعفشة ميه.. سبت المدرسة بعد أبـوك مـا مـات وصعت في الشوارع.. لو ما كانوش لقوا لنا الأوضه الشرك دي كان زمانك ما دخلت مدارس ولا اتعلمت أحسن علام.. وبقيت صايع في الشوارع ولا حرامي زي ولاد الكلاب.. آه أوضة.. كان لازم أجيبك وسط أهلي علشان يعرفوا يربوك ويصرفوا عليك لحد مـا تخاص.. وبنطلونات ولاد أختي وقمصـانهم كانـت بتسترك في البرد. أنت بس اللي ما عدتش تود حد..

الفتى: أنا قرفت من العيشة دي يا امه.

الأم: (تحتضنه دامعة العينين) وأنا في دك الساعة لما تتجوز في شقة تلات مطارح بصالة وعفشة ميه.. على الله قلبك ما يقساش علي وتاخدني أعيش معاك.

الفتى: كل حاجة مش نافعة.

الأم: **(في ابتسامة مريرة)** ها أشيلك العيال.. ويقولوا لي يـا ستي.. ها أمسح لهم وسـاختهم واشـطفهم بإيـدي

واغسل لهم هدومهم كل شوية وأنت ومراتك تيجـوا من الشغل تلاقوا الأكل نازل من على النار وسـخن والبيت نضيف والعيال نايمين نضاف.. ها أخـدمك بعيني دول.. نمت يا حبيبي **(تهنئة كالطفل)** نام نـام وأدبح لك جوزين حمام.. نام ننه هووو **(تتركه فـي حنو وتضع الوسادة تحت رأسه)** دايما لما باكلمك.. يا تشتمني يا تنام.. نام يا حبة عيني.. ها أطفي لـك النور.. أنت تعبان وأنا ما بيديش حاجة.

(تطفئ النور من زر الحائط وتخرج)

(إظلام)

اللوحة الرابعة

(على محطة الأتوبيس، الفتى يضع يديه في جيبه من البرد، ينظر لأحد الأصدقاء على البعد.. لحظة صمت طويلة.. الفتى والصديق ينظران لبعضهما)

الفتى: (صوته الداخلي) ما حدش عارف التاني.. ما حدش عايز يسلم على حد علشان إيديه ما تبردش.. علشان ما يخرجش إيده..

(يحدجه بدقة، يلمحه الصديق فيقتربان)

الصديق: إزيك؟

الفتى: **(صمت)**

الصديق: إيه؟ ما لك؟

الفتى: كويس **(صمت)** ما ليش.

(صمت)

الفتى: وأنت؟

الصديق: برضه.

الفتى: كويس؟

الصديق: الحمد لله على أي حال.

(صمت)

الفتى: أخبارك إيه؟

الصديق: مش **(صمت)** تمام

الفتى: مش ولا تمام؟

الصديق: **(يبتسم بمرارة)** مش تمام؟

(صمت)

الفتى: ما حدش بقى يشوفك.

الصديق: عايش.

(صمت)

الفتى: احنا بنتكلم مع بعض كده ليه؟

الصديق: مش عارف.

(صمت)

الفتى: يمكن علشان ما عندناش كلام نقوله.

الصديق: ويمكن علشان عندنا اكتئاب عام.

الفتى: ليه؟

الصديق: أنت ما عندكش؟

الفتى: **(بحدة)** ليه عندنا اكتئاب عام؟

الصديق: عايزهم يخصخصوه راخر؟ لازم يبقى فيه حاجـة عام.

الفتى: مدير عام عندنا في المصلحة مات.

الصديق: بجد؟

الفتى: أنت مش مصدقني؟

الصديق: أبويا أنا كمان مات.

(صمت)

الفتى: البقية في حياتك.

الصديق: مات من زمان.. أنت ما عرفتش؟

الفتى: ما حدش قالي.

(صمت)

الصديق: الانتخابات قربت.. معاك بطاقة انتخابية؟

الفتى: أنا مش مؤمن.

الصديق: بربنا؟

الفتى: بالانتخابات.

الصديق: إزاي؟ بيقولوا إن ده حق من حقوقنـا ومـش لازم نفرط فيه.

الفتى: اشمعنى ده اللي مش ها نفرط فيه.

(صمت)

الصديق: الأتوبيس اللي بتركبه نمرة كام.

الفتى: أتوبيس زحمة.

الصديق: نمرة كام؟

الفتى: أنا ما باركبش أتوبيس. باركب مترو الأنفاق.

(صمت)

الصديق: المحطة بتعاة المترو هناك مش هنا.

الفتى: كان لازم أكلم حد.. كان لازم أخرج إيدي من جيبـي في عز البرد.. وأكلم حد **(صمت)** على فكرة.. كنت عايز أسألك على حاجة.

الصديق: (**ينظر في ساعته**) ياه أنا اتأخرت جدا.. الأتوبيس جه.. سلام.

(يعدو خاف الأتوبيس المتخيل)

(يظل الفتى وحيدا لحظة ويحدث).

(إظلام)

اللوحة الخامسة

(في المكتب الحكومي، الحجرة فسيحة ورتيبة، الموظفون والموظفات على المكاتب، الفتحات في الخلفية تطل منها الرءوس وتصدر ردود فعل ساخرة بملامح الوجه فقط)

الفتى: **(يدخل بملابسه غير المنتظمة وغارقا في العرق)** صباح الخير.

عيشة: **(في اعتيادية)** صباح النور.

نبيلة: صباح الفل.

صبحي: صباح اللبن.

طوسون: صباح العسل.. اتأخرت ليه يا أفندي؟. تلاقيك ما لحقتش دفتر الحضور. ما مضتش طبعا.

فكرية: **(وهي تأكل بطريقة مقززة)** صباح الخير.. اتفضل **(صمت)** وبعدين أنت مالك بيه يا طوسون.. أنا الريسة هنا وانا اللي أسال **(صمت)** اتأخرت ليه؟

الفتى: **(يجلس على مكتبه وينظر للدوسيهات المتراكمة على مكتبه)**

(صمت)

مين اللي جاب الملفات دي هنا؟ **(صمت)** الشغل بتاعي أنا خالصته كله امبارح وقبل ما امشي.

فكرية: عيشة تعبانة يا ابني.. حبلة وتعبانة.

الفتى: عيشة قاعدة تعمل تريكو.

عيشة: ده حتة شرز للعيل **(صمت)** بكرة ربنا يديك واعمل لك حتة شرز للعيل.

الفتى: بقالك سنتين على الوضع ده.

صبحي: **(يقرأ الجريدة برهة ثم يصرخ)** القهوة يا عبده.

نبيلة: يوه.. ما أنت لسة مخاص قهوتك.

صبحي: أنا حر.

طوسون: **(وهو يقلب الجريدة)** الجريدة بقت تغم النفس.. وتجيب المرض **(للفتى)**.

طوسون: قريت المقال اللي في آخر صفحة؟.. اسمع يا سيدي.

فكرية: أنت ها تقرأ الجرنال وإلا هاتشتغل يا طوسون؟

طوسون: مقال يجنن.. يفقع المرارة والـ ـ.. اسـمعوا يـا سيادنا.

(يقرأ المقال بصوت عال وبعد كل فقرة يمكنـه أن يومئ إماءة ساخرة)

على كل مصري أن يقف أمام مرآته كل يوم لـيعلن صوته كإنسان متخاف، متعصب، غير نظيف، وغير متحضر، وغير قادر علـى التواصـل مـع جـاره الإسرائيلي الواعي، المتدين، الرقيق، المحب، الودود، الشجاع، المقاتل، المنتصر، بدليل أنه يعاكسـه وهـو داخل من الحدود، فيلاطعه طويلا قبل أن يعطيه تأشيرة الدخول متمسكا بـدعوى مهترئـة، سـاذجة، هـي احتياطات الأمن، احتياطات أمن ضد من.

صبحي: قلت مين اللي كاتب الكلام ده؟

عيشة: تلاقيه موشى ديان.

طوسون: **(مستمرا في القراءة)** أما آن لكـم أن تتحضـروا وتتمدينوا وتقلدوا على الأقل جيرانكم من أبناء شعب الله المختار ولكن ما فائدة الكلام معكم وأنـت فـي غياهب تخلفكم؟ ابقوا كما أنتم.

فكرية: سيبك من القرف ده وتعالى خداك بتنجانـة تـروق دمك.

طوسون: **(مستمرا)** وكفاكم أن تتمسحوا بأجدادكم وأساطيركم وعنترياتكم. وكفى ما أصابني منكم فـي القولـون وحساسية الأنف والرشح.

عيشة: يا أخي جته فضيحة تفضحه، قلت لي اسـمه إيـه الصحفي العرة ده.

فكرية: خلينا ناكل اللقمة بقى وبلاش قرف.

طوسون: **(مستمرا)** وكفى ما قاله لي الدلاي لاما في التبت، عن الرؤيا التي تثبت أن ميتوشالح بن نوح هو باني الهرم الأكبر وليس خوفو [1].

الفتى: وطن غريب.

صبحي: اشتغل بقى وبلاش عكننة.

طوسون: هو أنا اللي كاتب المقال يا سي صـبحي، ده فـي الجرنال أهو، تعالى بص.

---

[1] من مقالة لأنيس منصور في الأهرام، نقلها وعلق عليها أسامة أنور عكاشة في جريدة الأهالي.

(يمزق الجريدة ويلقيها في سلة المهملات)

صبحي: ده مثواه الأخير فعلا يا طوسون، الله ينور عليك.

فكرية: مش فالحين غير في الكلام الفارغ والمسخرة.. إنمـا شغل لأ.

طوسون: كلي أنت بس وما تزروطيش هدمتك.

فكرية: هو أنا باقول عليك أنت يا بني آدم.

طوسون: بتشتميني يا فكرية؟ أنا أرفع مذكرة للسيد المـدير يشوف له صرفة معاكي.. أنا اتهزأت.

(صمت ووجوم)

عيشة: **(بتوجع)** آه.

صبحي: إيه؟ مالك يا عيوشة؟

عيشة: الطلق حمي.. أنا بايني حبلة يا وله.

نبيلة: بنت إن شاء الله.

عيشة: بنت في عينك.

طوسون: دي البنات رزق.

عيشة: دي البنات غلب.. البنات حرام.

صبحي: **(ينظر لنبيلة)** مكروهة بس.

نبيلة: ما تتدخلش في اللي ما يخصكش.

فكرية: علشان ما تسمعش اللي ما يسركش.

(صمت)

صبحي: قهوتي يا زفت.

طوسون: الراجل سمع.. سمع.. بلاش دوشة بقـى ووجـع راس.

الفتى: دماغي ها تتفرتك.

فكرية: هو انتو فالحين غير في كده؟.. القهـوة والجـرانين ودماغي ها تتفرتك.

عيشة: دول رجاله دول؟

طوسون: اصطبحي وقولي يا صبح.

عيشة: **(بشراسة)** ما نيش قايلة يا طوسون.

طوسون: أقول أنا يا عيوشة.. يا صبح.

صبحي: نعم يا اخويا؟

طوسون: يا صبح مش يا صبحي يا أطرش.

صبحي: سامعة يا ريسة؟.. أنا باتهزأ وأنا باشتغل أهو.

فكرية: وحياة امك؟

صبحي: وحياة أبوكي يا اختي.

فكرية: أنت قليل الأدب.

صبحي: وأنت أهلاك ما ربوكيش يا ريسة.. هه.

(صمت ووجوم)

نبيلة: بقى ده كلام؟ الريسة بتتهان وسط المصلحة كده.

طوسون: ولعيها نار يا عانس.

نبيلة: عانس في عينك.. أنا اللي ما فيش راجل ملا عيني لغاية دلوقت.. وبعدين أنت مالك أنت؟

طوسون: الله.. مش صاحبي في المصلحة؟

صبحي: ما أنتو سامعينها بتشتمني.

عيشة: ما تقصدوش يا جدع أنت.

طوسون: ما تقصدوش ازاي؟ أنا شاهد معاه.. تقصده ومستقصداه كمان.

(صمت)

صبحي: **(ينظر في ساعته)** ياه.. الساعة اعتنين.

عيشة: اتنين إلا خمسة.. ولسه ما كملتش الشرز..

طوسون: ما هو دفتر الانصراف بيجي الساعة اتنين إلا خمسة.

فكرية: إيه رأيكم؟.. إن ما حدش ها يخرج غير لما يخلص شغله.

صبحي: بتقولي إيه؟.. احنا بنشتغل في الحكومة على أد فلوسهم.. ده احنا حتى ما لحقناش نخلص الجرايد ولا شربنا القهوة.

(يقذف المقعد ويخرج)

طوسون: على رأيك والله.. الوقت بيجري.. الوقت زفت.

(يقذف المقعد ويخرج)

عيشة: ناقص كم شرز.. لو كان علي.. كنت خدت ساعة إضافي أكمله في الهداوة بس جوزي ما بيرحمنيش لما أتأخر.. جاتهم نيلة.

(تقذف المقعد وتخرج)

نبيلة: دي ما بقيتش مصلحة.. دي بقت زريبة.

(تقذف المقعد وتخرج)

فكرية: (تذهب للفتى على مكتبه) انت مش ها تروح؟

الفتى: أروح؟

فكرية: أصل دول ناس ما عندهاش ضمير.. ابقى اقفل باب المكتب جامد.. وجعوا راسي بكلام فـارغ.. وقلـة حيا.

(تخرج.. بينما الفتى يظل وحيدا على مقعده منهمكا في العمل، تخفت الإضاءة)

(إظلام)

اللوحة السادسة

(الفتى في حجرته، يقرأ الخطاب، الفتـاة على البعد تحت بقعة ضوء تكتب الخطاب تحدث حركة تبادلية بين القراءة والكتابة)

الفتاة: عزيزي، معلهش هي مش حلوة بس علشان هي أول مرة، أبعث إليك بأرق تحية وأطيب سلام أهديه لـك من كل قلبي متمنية من الله أن يعبر قلمي عن مـدى شوقي وافتقادي لشخصك العزيز.

الفتى: حقيقي وحشني النكد اللذيذ. طبعا ده يختلف عن النكد اللي على أصوله هنا واللي ما فكرتش ولو لثانية أني ممكن أشوفه.. أنا حسيت أني بقالي سنين بعيدة.

الفتاة: اليوم هنا بسنة كاملة وده اللي أنا حساه فعلا هنا فـي الغربة، وعلى فكرة أنا مش ها اعتذر عن التـأخير لأني فعلا لغاية دلوقتي ما استقريتش في مكـان إلا يمكن بس النهاردة ٢٦/ ٩، السكن مش مريح الجـو هنا فظيع.. النهار صيف حار جدا وأنا ما باستحملش وأنت عارف.

الفتى: الليل برد جدا والجو متقلب، أما عن البلد نفسها فرغم الرخاء والرفاهية إلا أني حاسـة بـنفس الـروتين والملل.

الفتاة: وطبعا الرفاهية دي لا تعني شيء بالنسبة لي.. مقابل أني أكون بين أهلي وناسي وكفاية مش ها أقول اللي أنت نفسك تسمعه.. وطبعا أنت عارفه كـويس.. ولا إيه؟

الفتاة: إيش لونك؟ كيف أحوالك؟ زينـة؟ وحـال صـحتك الغالية؟.. أنا عايزة أطمن عليك وعايزاك دايما بخير وصحتك كويسة ومش مدوخ نفسك.. ويا ريت تكتب لي.. عايزاك تبعت لي كتير.. عايزة أحس أني لسه في مصر أو أنك أنت اللي معايا.. وأنا على فكرة.. معلهش مش ها أقدر أكتب أكتر من كـده علشـان الساعة دلوقت واحدة ونص صباح الأحد والمفروض ها أنام.. بس مش عارفة ها أقـدر ولا لأ.. تصـبح على خير.. وأكتب لي الرد على طول.. يا ريـت.. امضي بقى ولا إيه؟.. مضيت أهه..

الفتى: **(يترك الخطاب يسقط من يده)** بعد أكتر من سـنة.. والسنة أطول من دهر.. مافيش حاجة بتحصـل ولا جوابات بتيجي.. واللغز ها يموتني. إيه اللي حصل؟ كتبت أنا كتير ومن آخر نقطة دم في قلبـي نزفـت فوق الورقة كتبت قلت لها.. كل اللي ها أقدر استناه بعد كده شهر مش أكتر.. ولو ما فـيش ذرة حـب بينا.. يبقى على الأقل فيـه ذرة إنسـانية. ترفعـي التليفون وتقولي خلاص.. لقيت هنـاك حلمـي، أو حلمي مش أنت، أو أنت مجرد وهم كبير أو اسم في أندكس التليفون والذاكرة.. أو أنت حمـار كبيـر أو أنت.. قولي خلاص افترقنا ما تتعبش نفسك والحقها من الساقية والدوامة.. لا تروح ولا تيجي فوق مـن الوهم وعيش علـى الـذكرى.. مـا فـيش حاجـة بتحصل.. فيه مشاعر بتتبدد وبدون إبداء أسباب.

(بعد لحظات تدخل هدى جارته، متفجـرة الأنوثـة، تقف قرب الباب تغمز بعينها في إثارة)

هدى: إزيك يا أستاذ؟ بتعمل إيه؟ بتكتب؟ بتكتب إيه شعر.

الفتى: **(ينظر لها ولا يرد)**

هدى: **(تقترب منه)** إيه؟ لسة زعلان مني؟ أنـا مـا كـانش قصدي أزعلك.. بس أنا ما أحبش حد يمد إيده علي.

الفتى: عايزة إيه؟

هدى: يوه.. ولا حاجة.. أنا بأمسي.

الفتى: أنا قاعد لوحدي هنا.

هدى: خوفتني.. حوش حوش.. يعني أنت ها تاكلني؟

الفتى: مش يمكن.

هدى: **(تضحك بخلاعة)** يمكن إيه؟

الفتى: أكلك.

هدى: أنت غلبان.. غلباوي بس.. ما فيكش غير لسان.. بس بيني وبينك.. يا ريت.

الفتى: يا ريت إيه؟

هدى تحس بي ولا احنا مش أد المقام؟

الفتى: أنهو مقام؟

هدى: مقامك يا أستاذ.. أنت متعلم ومتنور... بتـاع ورقـة وقلم.. إنما أنا..

الفتى: **(ساخرا)** مقام؟.. يعني إيه مقام؟ يعني إيه ورقة وقلم ووظيفة في الحكومة حتى؟

هدى: يعني كل حاجة.

الفتى: **(يقترب منها)** أنا عايز أفهمك حاجة مهمة.

هدى: وأنا نفسي أفهم والنبي.

الفتى: أنا تعبان..

(يهجم عليها بينما هي تعدو نحو الخارج ضاحكة في ميوعة.. المسرح خال منهما.. الرءوس تطل من فتحات الخلفية.. وعلى وجوههم ابتسامة تطلع نحو الكواليس التي خرجا منها.. كل صوت يعكس دهشة ما على الوجوه.. تسمع صوت تأوهات صادرة منها ثم صفعة على الوجه)

الفتى: **(يدخل منكسرا)**

هدى: **(تقف عند الباب باكية)**

الفتى: قلت لك أنا لوحدي وتعبان.

هدى: أنت مش بني آدم.

الفتى: أنا مش عارف عملت كـده إزاي؟ أنـا فعـلا مـش قصدي.

هدى: مش قصدك تبوسني وتقطع البلوزة؟

الفتى: مش قصدي ابقى حيوان بالشكل ده.. واعتدي علـى إنسانية أي حد في الكون. فعلا مش قصدي.

هدى: أنت راجل زي بقية الرجالة.. مش همك غير جسـمي وبس.. ما حدش بيسمع حد.. كـان نفسـي أكلمـك وتكلمني.. أفضفض معاك.. أحس أني بافضفض مع حد وأقوله كل حاجة من غير ما يفتكر فـي حاجـة وحشة.. من غير ما يمد إيده علي ولا يقطع البلوزة **(تبكي)**

الفتى: أنا آسف.. آسف جدا.

هدى: **(تنفجر باكية وتضربه على صدره ضربات متتاليـة)** إوعى جتك القرف أنت حيوان.

الفتى: **(يبتعد عنها)**

هدى: كنت فاكراك بني آدم.

الفتى: قلت لك امشي.. امشي أنا تعبان.. أنا لوحـدي.. مـا رضتيش.. أنا لما باكون لوحدي بابقى تعبان وبافكر في الجنس.

هـدى: أنا كمان تعبانة.. عندي أكتر من تلاتين سنة دلوقتي. بنات غيري وأصغر مني اتجوزوا وعاشوا واتهنـوا وخلفوا.. بس أنا مين ها يبص لـي؟ لا ورايـا ولا قدامي.. لا شهادة ولا شغلانة ولا حاجة.. ومش من حقي أعيش.. عارف ليه؟ علشان ما يـنفعش.. لازم أبيع.. ولا أخليهم يبيعوني لواحد أد جدي.. لكن اللي زينا ما يعرفش يبيع.. كنت شايفاك أنت الوحيد اللي قدام عيني تحس بي. تفضفض معايا وأفضفض معاك **(بحدة)** طلعت ابن كلب سِماوي.

الفتى: اخرجي بره.

هدى: **(تبصق على الأرض وتصفق الباب بعنف وتمضي)**

(نسمع صوت ضحكات الرءوس المطلة من الخلفية)

الفتى: **(يعود منكمشا إلى السرير.. حيث يمكننا أن نسـمع صوته الداخلي)**

يا سيدي أنا زنيم

يا سيدي أنا واهن القوى متخاذل مؤنب..

يا سيدي ماذا ستفعل بي؟

أنا عبدك المستند إلى سور الهاوية.

يا سيدي أنا مفتت.

مضطر على الانسحاق بين شقي الرحى.

فأقمني من عثرتي وضمدني وشد من أزري.

لكي أخرج من ذنوب الجسد.

يا سيدي أنا أواصل الفجور.. أواصل التفتت.

أواصل يا سيدي الموت.

تلك نبذة عن فسقي.

(تطل الرءوس مرة أخرى وتعلو ضحكاتهم وتمتـد أياديهم عبر الفتحات بالسياط التي تلهبه على ظهره وهو ملقى على الأرضية وسط الضحكات والعيـون والسياط، لحظات ثم تخفت الأصوات مـع خفـوت الإضاءة حتى الإظلام)

(إظلام)

اللوحة السابعة

(المكان عبارة عـن حجـرة النـوم، ومكتب المصلحة، ومحطة الأتوبيس، كل هذا متداخل ومزدحم بشكل باعث علـى الضـيق والاختناق.

كل شخص من الشخوص فـي مكانـه، الموظفون على مكاتبهم، والصديق على محطـة الأتوبيس وهدى قرب الباب، والأم جالسة علـى السرير منكمشة ومعصوبة الرأس.

الفتى وسط كل هذا الزحام.

والجميع في هذه اللوحة خارج من رأس الفتى).

الأم: **(تعدد)** واللي الوجع دخل جواه

لا ينفعه ماله ولا اللي معاه

واللي الوجع دخل جلاده

لا ينفعه مـاله ولا ولـده

الفتـى: حتى اللي أنت تحبه يموت.. وإذا ما ماتش. يسـيبك ويسافر.. تبقى من غير غطا وعريان.. حتى اللـي

أنت تحس معاه بالدفء.. يفوتك، ذهب الذين أحبهم.. وبقيت مثل السيف فردا.

الصديق: مالك ما حدش بقى يشوفك. شكلك حزين وتعبان.. إحنا بنتكلم مع بعض كده ليه؟ يمكـن علشـان مـا عندناش كلام نقوله؟.. ويمكن علشان عندنا اكتئـاب عام.

هدى: قال لي يا هدى.. أنا بحبك يا هدى.. أنا فرحت مـش علشان ده هو الراجل اللي الواحدة تتمناه وتحلم بيه.. لأ.. علشان أول مرة واحد يقول لي بحبك يا هدى.. بعدها بيومين مسك إيدي سيبته.. بعدها بتلات أيـام قالي أنا عايز أنام معاكي يا هدى.. صرخت وجريت على بيتنا طوالي.. كنت عايزة أحكي لحد وأفضفض معاه.. حكيت لأمي، أبويا جري ورايا بالسكينة لغية آخر الشارع.

طوسون: وقد فضح بالأرقـام زيـف دعـاوى الإصـلاح الاقتصادي وما يقال حكوميا مـن مراعـاة البعـد الاجتماعي، فمشكلة الفقر تتزايد، ٨٦ % من جملـة سكان مصر يحصلون على ٢٥ % مـن مجمـوع

الدخل، في حين أن مليون فرد أي ٢ % فقط يحصلون على ٤٠ % من مجموع الدخل القومي و ٥٠ فردا يملك كل منهم ما بين ١٠٥ إلى ٢٠٠٠ مليون دولار.

فكرية: ناس ما عندهاش شرف ولا دين.. وجعتوا راسي بكلام فاضي.. هي قلة الضمير بقت هي الدين في البلد دي ولا إيه اللي جرى؟

الأم: سبلت عيني للنوم ما نامت

فكرت في الحبان قامت

سبلت عيني للنوم ما نعست

فكرت في الحبان صحيت.

نبيلة: ما فيش راجل يملا عين الواحدة اليومين دول... الراجل لازم يكون مكفي بيته ومراته، مش مسافر وهاجج علشان خاطر قرشين يستر بيهم نفسه.. ما فيش حد يستر بيته وناسه وهو في البلد دي إلا إذا كان حرامي.. يعني في الآخر مش راجل.

طوسون: المحكمة التأديبية تفصل ٧ من كبار موظفي الدولة وتخصم ١٥ يوما. المحكمة التأديبية تقول كان يجب تطبيق قانون العقوبات لمواجهة الفساد الوظيفي [٢].

الصديق: مش مؤمن بالانتخابات ازاي؟ دول بيقولـوا إن ده حق من حقوقنا ومش لازم نفرط فيه.

الفتى: اشمعنى ده اللي مش ها نفرط فيه؟

هدى: ما احنا كلنا في شقة شرك.. ندخل الحمام بالدور.. أنا وأمي وأبويا وأخواتي ننام في أودة واحـدة.. ومـا حدش واخد باله من حد.. يعني كل واحد عايش في حاله ولحاله..تبقى دي عيشة دي؟

طوسون: اسمع المانشيت.. المانشيت بس.. أمريكـا تسـقط مشروع قرار ضد الإجراءات الإسرائيلية بالقـدس.. تعنت إسرائيل يطلق السباق النووي.. السـلام فـي الشرق الأوسـط يحتـاج الآن إلـى عمليـة إنقـاذ عاجلة [٣].

---

[٢] جريدة الأخبار ١٨/ ٥/ ١٩٩٥.

[٣] جريدة الأخبار بتاريخ ١٨/ ٥/ ١٩٩٥.

صبحي: كل ده المانشيت.. أمال إيه الموضوع؟ اقرأه وحياة أبوك عشان تحرق دمنا اللي باقي.

الأم: الجار يا ابني ما بقاش يراعي تاني جار.. والنبي كـان وصى على سابع جار.. صـوت الراديـو عـالي، وصوت الدوشة.. والعيال في الشوارع واحنـا لازم نفتح الشباك وإلا نتخنق.. وولاد الشياطين مش سايبنا في حالنا.. يطلعوا على الشـباك يجرحـوا حرمـة الأودة.

الفتى: أنا مش المسيح.

هدى: أنت ابن كلب زي الباقي وحيوان.

الفتى: كان لازم أكلم حد في الوقت ده بالذات.. أسأله علـى رأيه عشان أعرف أنا لوحدي اللي باحس ولا همـا كمان حاسين؟

طوسون: (يقرأ) الحبس لأستاذة جامعيـة ضـربت والـدها بالشبشب [٤].

عيشة: البنات غاب.. البنات حرام.

---

[٤] جريدة الأخبار ١٨/ ٥/ ١٩٩٥.

صبحي: مكروهة بس.

الفتى: لما باكون لوحدي بـابقى بـردان ولازم أفكـر فـي الجنس.

الأم: **(تعدد)** الفرح غالي ما هوش لكل الناس

جوا مدينة وقفوا لها نحاس

الفرح غالي في صـ ـ ـناديقه

وإيش جسر الفقري يمد إيده؟

هدى: **(تبصق على الأرض وتصفق الباب وتخرج)**

الفتى: **(يمسك رأسه وينبعث صوته الداخلي)**

يا سيدي أنا زنيم.

يا سيدي أنا واهن القوى متخاذل مؤنب.

يا سيدي ماذا ستفعل بي أنا عبدك المستند إلى سور الهاوية؟

يا سيدي أنا مفتت.. مضطر على الانسحاق بين شقي الرحى.

فأقمني من عثرتي وضمدني وشد من أزري

لكي أخرج من ذنوب الجسد

يا سيدي أنا أواصل الفجور.

أواصل يا سيدي الموت.

(يدوي صوت انفجار الرأس المروع تتناثر أشـلاء الرأس، الجسد يطرح بعيدا. تطل الرءوس والجميع يلعب دور المحقق)

الصديق: كان بيشتكي من إيه؟

الأم: من كل حاجة.

طوسون: لازم كان بيشرب.

الأم: كان دايما عطشان.

فكرية: كان بيشرب خمرة.

الأم: حد الله.

نبيلة: يبقى كان بيشرب حشيش.

الأم: ما تظلموهوش.. سجاير بس.

عيشة: هو كان بيشتغل؟

الأم: الماهية ما كانتش بتكفي.

الصديق: فاكرة آخر حاجة قالها.

الأم: **(تسقط بقعة ضوئية على الأم بينما نسمع الفتى)**

صوت الفتى: الحياة بقت وسخة.. ما تستهلش تتعاش.

فكرية: كنتي بتحبيه؟

(يحدث تداخل بين الجميع لكن الجمل تبدأ واضـحة ثم سرعان ما تتـداخل، الـرءوس المطلـة تلقـي بنظراتها البلهاء تبعث أصوات السخرية، الأم منهكة بين الجميع)

الصديق: كان بيحب الحياة؟

الأم: **(صمت)**

عيشة: كان بيكرهها؟

الأم: **(صمت)**

نبيلة: كان ها يتجوز منين؟ ده كان حتة موظـف كحيـان.. صح؟

الأم: **(صمت)**

طوسون: لو كان عندك حاجة عايزة تقوليها قوليها. قبل مـا الحكومة ما تمشي.

الأم: (بعد فترة صمت تبدأ في العديد والرءوس المطلة تردد العديد بطريقة الريستاتيف ولكن ببعض من السخرية):

اعملوا قبر المليح مليح

شباك من غربه يجيب له ريح.

اعملوا قبر المليح زيه

شباك من غربه لملقى أمه.

(يسود الصمت لحظات، الجميع ينسحب ملقيا جملته الأخيرة للأم بأداء ميكانيكي، بينما الأم تحتضن جسد الفتى المسجى، والإظلام تدريجي)

ـــــ: لا حول ولا قوة إلا بالله.

ـــــ: ربنا يصبرك ويصبر قلبك.

ـــــ: كان عزيز على القلوب.

ـــــ: وكان غالي.. وما حدش زيه.

ـــــ: المرحوم شهيد.. حـي عنـد ربـه.. فـي جنـة الرضوان.

ـــــ: غيابه قطع فينا.

ـــــ: البقية في حياتك.

ـــــ: شدي حيلك شدي.

(إظلام)